
83
روايات عالمية
قلبك ملك لي
WWW.RIWAYA.GA
تأليف : دين كونتز
ترجمة وإعداد : د. أحمد خالد توفيق

المؤلف



المدرسة الثالثة للرعب المعاصر هى مدرسة دين كونتز Dean Koontz . مدرسة صغيرة جوار مدرستين عملاقتين هما ستيفن كنج وكليف باركر .

دين كونتز كاتب أمريكى ولد فى بنسلفانيا عام ١٩٤٥ وقد اشتهر بروايات غاية فى الإثارة مثل (توماس الغريب) و (الباب إلى ديسمبر) .

كانت طفولته تعسة جدًا بين الفقر وأب سكير شرس ، لهذا كان يجد فى الكتب الفرار الوحيد من واقعه الأليم ، وبالنسبة له صار المؤلفون هم السحرة الذين ينقذونه من واقعه كل ليلة .

كان مدرسًا للثانوى ثم استقال وقرر التفرغ للكتابة ، وتطوعت زوجته بأن تدعمه ماليًا لمدة ثلاثة أعوام يجرب فيها أن يصير كاتبًا . ونشر أول رواية له عام ١٩٦٨ وكانت تحمل اسم (البحث بين النجوم) .

جرب عدة أنواع من الكتابة قبل أن تستقر سفينته على شط كتابة الرعب واليوم له ١٢٠ رواية وزعت ٤٥٠ مليون نسخة فى ٣٨ لغة . فى العام ١٩٧١ قدم أقصوصة نالت جائزة هوجو وهى قصة (الطفل الوحش) . وكتب عددًا من الروايات بأسماء مستعارة . يقول إنه يعمل ٦٠ ساعة أسبوعيًا ويتخلص من مسودات عديدة قبل أن يرضى بعمل ما .

صار هو الأعلى مبيعًا بعد رواية (الهامسون ١٩٨٠) . بعد هذا توالت عناوينه المهمة ؛ على غرار (الأشباح ـ ١٩٨٣) و (الغرباء ١٩٨٦) و (المراقبون ١٩٨٧) والرواية الأعلى مبيعًا (المكان الشرير) و (باب يفصل عن السماء ٢٠٠٢) . وفى العام ٢٠٠٣ قدم (توماس الغريب) ، أما قصة اليوم فقدمها عام ٢٠٠٨ .

كتب كذلك الكثير من القصص المصورة ؛ مثل (فرانكنشتاين) و(الابن الضال) و(لا مزيد) . تم تحويل روايته (بذرة الشيطان ١٩٧٧) إلى فيلم سينمائى وكذلك رواية (توماس الغريب) .

د. أحمد خالد

ـ ١ ـ

لم يعرف رايان بيرى أن شيئًا فيه قد تحطم .

فى سن الرابعة والثلاثين بدا أنه أكثر لياقة مما كان فى الرابعة والعشرين كانت قاعة الجمانزيوم فى بيته مجهزة جيدًا مع مدرب خاص يأتى ثلاث مرات أسبوعيًا .

صحا فى ذلك اليوم من سبتمبر على سماء زرقاء صافية ، فشعر برغبة شديدة فى أن يتزلج على الأمواج . اتصل بسامانتا ولابد أنها رأت رقم الطالب لأنها قالت له :

ـ « مرحبًا يا ونكى »

كانت تسميه كذا لأنه عندما قابلته منذ ١٣ شهرًا كان مصابًا بحالة رفة فى الجفن wink . وهى حالة كانت تصيبه كلما أطال العمل على الكمبيوتر، فكانت ترغمه على أن يترك المفاتيح ويتوقف عن البرمجة . لما رأته خيل لها أنه يغمز بعينه لها . كانت صحفية ترغب فى كتابة مقال عنه فى مجلة (فانيتى فير) .

أدركت أنه شخص لطيف ذكى صادق وقبلت دعوته للعشاء ، وكانت الأشهر التالية أسعد أيام حياته . تبادل معها الحديث فى ذلك الصباح عن رياضة التزلج ، ثم اتفقا على اللقاء .

ارتدى ثيابه ثم اتجه للمرآب لينتقى سيارة من السيارات الخمس التى يملكها ، وكانت من طراز فورد لها لون الفحم تناسب مناخ اليوم . وفى الخلفية برزت ألواح التزلج .

انطلق عبر طريق الحجر المرصوص ثم اتجه يسارًا إلى الشارع . اختلس نظرة لبيته الفاخر بأسقفه المنحدرة الحمر ، والجدران ذات لون الجير والنوافذ البرونزية التى تعكس الشمس كأنها جواهر .

ظهرت خادمة ترتدى مريولة فى الشرفة ، وفتحت النوافذ لتهوى غرفة النوم . لقد انتقل ريان خلال أقل من عشرة أعوام من شقة رثة فى أناهيم إلى جبال ساحل نيوبورت المطلة على المحيط الهادى .

كان بوسع سامانتا أن تدبر وقتًا لأنها كاتبة تحدد ساعات عملها لنفسها ، أما هو فكان قادرًا على تدبير وقت لأنه ثرى . لقد جعله العمل الشاق يصل للقمة بسرعة مذهلة . اتجه بسيارته إلى الميناء ، حيث تقف يخوت النزهة منذ عام وهو يضع خططًا ناجحة للشركة التى يملك معظم أسهمها .. ويحاول إقناع سامانتا بالزواج .

كانت ترفض لسبب مجهول .. وقد خطر له أن الكبرياء هى السبب . كانت ثروته تبتلع كل شىء ، وكانت تريد أن تثبت نفسها ككاتبة أولًا . توقف بسيارته فى شارع تغطيه الأشجار وحمل لوح التزلج إلى الشاطئ .

انتظرته فى المكان المعتاد حيث تزلجا على الموج أول مرة . كانت تلبس بكينى أحمر وكان هو يتمنى لو ارتدت اللون الأصفر ، لكنه يعرف أنها تختار العكس دائمًا . كانت تحفظ كل المحادثات ولا تنسى شيئًا .. وكان يجدها متجددة دائمًا لا يمكن للمرء أن يملها .

مضيا للبحر معًا ورقد كل منهما على لوح واندفعا فى البحر . لم يكن البحر هادئًا كما رآه من شرفته .. كان غاضبًا متقلبًا كأنما هما يركبان ظهر أفعوان عملاق أو كأنهما يسبحان فوق ألف سمكة قرش .

انزلقت سامانتا فوق أول موجة فاختفت عن عينيه ، ثم ارتفعت من جديد في سلاسة كأنها تنزلق على الزيت .

استعد لركوب الموجة التالية ، هنا حدث شيء لقلبه . فجأة تسارعت ضربات القلب وكأنه مذعور وليس مستثارًا من الترقب . شعر بالنبض يدق في كاحليه وساعديه وشعر كأن موج البحر يجرى فى شرايينه .

تمسك رايان باللوح وبدأ يرى العالم معتمًا .. فقد تألقه على الحواف وصار البحر أسود كأنما هو فى ليلة بلا قمر . وللمرة الأولى فى حياته يشعر بالخوف من البحر .

شعر لأول مرة أن دوامة ستحمله للقاع . كاد يسقط من فوق اللوح وتخلت عنه قواه وضعفت قبضته . وخطر له أنه لو ظهرت سمكة قرش الآن فهو تحت رحمتها .. لن يستطيع تحاشيها .

***

ـ ٢ ـ

مرت النوبة فجأة كما جاءت ، وعاد قلبه يدق بهدوء . وعادت السماء للونها وابتعدت ظلمة الماء .

لم يدرك أن سامانتا قد عادت للشط ثم رجعت له . وبدا القلق واضحًا فى عينيها وصوتها . فقال وهو يرقد على اللوح :

ـ « أستمتع باللحظة فقط .. سألحق بموجة أخرى »

خمنت أنه يكذب لكنها لم تفهم السبب .

عاد إلى التزلج وقد هدأ قلبه . أقنع نفسه أن هذا لم يكن شيئًا عضويًا لكنه مجرد توتر . كان يجيد خداع النفس كأى واحد آخر . جاءت موجة عالية أخرى .. فراحت النوارس تصرخ كأنها تنذر القلاع الرملية على الشط من خطر الزوال .

توتر قليلًا وقد خطر له أن موجة عالية كهذه قد تسبب نوبة أخرى .

سرعان ما وجد نفسه يصارع من أجل الهواء فى أنبوب زجاجى . وسرعان ما خرج من الموجة يؤكد لنفسه أنه لا يوجد شىء مخيف .. الحياة فقط .

استمر التريض . كان رايان عادة يستمر حتى العصر حين تتوقف الأنسام وتهدأ الأمواج ، وتهدأ رغبة الخلود لدى المحيط .

شعر بإرهاق لذيذ يدفعه إلى أن يغمض عينيه بين البلانكتون . أغمض عينيه فسمع صوتها يقول :

ـ « رايان ؟ »

ـ « هممم ؟ »

ـ « هل كنت نائمًا ؟ »

فتح عينه فرأى وجهها الجميل الأسطورى يطل عليه وقد أحاطت برأسها هالة من شعر أشقر كأنها من آلهة الشمال . قالت له :

ـ « كنت نائمًا »

ـ « كنت مرهقًا ، أحتاج إلى جرعة من الجعة الباردة »

اتجه الاثنان للسيارة .. كان يشعر بوهن فى ساقيه من فرط البقاء فى الماء . كان لديهما بطانية وثلاجة صغيرة . وقاد ريان السيارة إلى بيت سامانتا

كانت تستحم بينما صب كأسين من الشاى المثلج بشرائح الليمون . لقد زال الإرهاق عنه تمامًا .

جلسا عصرًا فى المطعم يتأملان الأشجار فى الخارج . قالت فى شرود إن أختها تيريزا كانت تحب هذه الأزهار . كانت أختها قد ماتت منذ عامين . وكانت توءم سامانتا . قرأ هو الكثير عن التوائم فعرف أنه عند وفاة أحد التوءمين يكون شعور الأخير مزيجًا من الحزن والشعور بالذنب . بعض التوائم كانوا يشعرون بالتوءم الميت كما يشعر صاحب العضو المبتور كأن العضو مازال موجودًا .

كانت سامانتا صامتة فأتاحت له أن يتأمل جمالها ويعجب به ، وقد خمن أن صمتها يتعلق بذكرى أختها . كان يحب الكمال طيلة حياته وكان يجده أحيانًا فى لغات البرمجة لكن سامانتا كانت هى الأقرب للكمال .

قالت له عن أختها :

ـ « بعد الحادث ظلت فى غيبوبة لمدة شهر ، وبعدها لم تعد كما كانت »

سقطت ظلال الغصون عليها وهى تفكر .. ثم قالت :

ـ « قال الأطباء إنها ستتغذى بخرطوم .. قالوا إنها صارت فى حالة نباتية . لم أصدقهم .. كانت تيريزا هناك .. حبيسة جسدها لكنها هى تيريزا .. رفضت أن ينهوا حياتها »

سألها :

ـ « لكنهم فى النهاية نزعوا أنبوب التغذية »

ـ « قالوا إنها لن تتعذب .. ستموت جوعًا لكن خلل المخ لن يجعلها تشعر بشىء . لكنى أدركت أنها تتعذب .. فى الليلة الأخيرة جلست جوارها وشعرت كأنها تتكلم »

رفعت كأس الخمر الذى التمع عليه صليب من نور . ثم قالت :

ـ « لن أغفر لأمى أبدًا ما فعلته لتيريزا »

ـ « حسبتها ماتت فى نفس الحادث »

ـ « بالنسبة لى ربيكا أمى ميتة فعلًا .. تمشى وتتكلم وتعيش فى شقة .. لكنها ماتت بالنسبة لى »

صب لها المزيد فى كأسها وقال :

ـ « غريب أن يؤدى منظر جميل مثل أشجار الفراولة إلى تعرية القشرة عن ذكرى أليمة »

ـ « أنا آسفة »

جاء الليل فأضاء النادل شموعًا صغيرة موضوعة فى كئوس زجاجية صغيرة .. وساد الظلام مما جعل المكان ساحرًا . وجاءت شرائح اللحم التى طلباها .

سألته :

أثناء التزلج صباح اليوم ؟ »

ـ « هل كنت بخير

ـ « أنا فى الرابعة والثلاثين .. لن أظل محتفظًا بحيوية الفتيان »

جاء الليل ..

استيقظ فى الظلام الدامس شاعرًا كأنه يركب لوح الانزلاق فوق الماء . شعر بالدقات القوية فى قلبه .

أدرك أنه فى الفراش وأنه يشعر بدوار ...

حاول أن يضىء الأباجورة لكنه لم يستطع رفع ذراعه . عندما حاول الجلوس مزق الألم صدره .

* * *

- ٢ -

شعر ريان بكتل خرسانة توضع على صدره . وراح قلبه يدق بسرعة حتى إنه لم يستطع عد الضربات . قرر أن يرقد فى هدوء إلى أن تمر النوبة كما مرت وهو على لوح الانزلاق .

الضعف والألم الشديد والدوار . فى طفولته لم يخش الظلام قط ، لكنه اليوم يشعر بأن الظلام يجثم على صدره . حاول الجلوس فلم يستطع إذ أرغمه الألم على الرقاد . راح يشهق شهقات قصيرة تخدش ظلام الغرفة كما يفعل الظفر على لوح الكتابة . بعد قليل استطاع أن يرفع ذراعه فمدها إلى المصباح وأضاءه .

سقط من على الفراش ولا يعرف كيف حدث هذا .. فجأة صار الفراش هو السجادة .

كان وحيدًا تقريبًا فى البيت ، لأن الخادمين لاى وكى تانج نائمان الآن فى غرفتهما فى الربع الأقصى من البيت .

بدأ الألم ينتقل إلى فكه شديدًا .. كأنه قد عض مسمارًا .

كانت الدموع تملأ عينيه واحترق حلقه من العصارة الحمضية المرتجعة . راح يعتصر السجادة محاولًا الزحف . وأدرك أن ضربات قلبه تتجاوز مائتى ضربة فى الدقيقة على الأقل .

هو أمير الإنترنت .. ثرى كملك . لكنه الآن راقد بلا حيلة تحت رحمة جسده .. ورأى ظلامًا .. ثم دوامة هائلة ابتلعته ...

***

14

كان منبه التلفزيون مضبوطًا على السابعة صباحًا . نهض رايان ببطء على صوت الموسيقا .

رقد على الأرض فى وضع جنينى .. وهو يسمع مشهدًا من فيلم (صان سيت بوليفار) . صداع .. حلقه جاف .. عيناه تنفتحان بصعوبة . للحظة راح يتساءل عن سبب رقاده على الأرض .

هنا إنذار يتعلق بمستقبله وعليه أن يعالج الأمر فورًا . نهض والشعر يتصلب على مؤخرة عنقه وبدأ يسترجع كل تفاصيل الليلة .

دخل الحمام وراح يتأمل وجهه المذعور النحيل فى المرآة .. واستطاع أن يرى الجمجمة تحت جلده بوضوح غير مسبوق .

اتجه إلى المرآب حيث كان الخادم لاى يقوم بتلميع سيارة من السيارات . كان رجلًا فى الخمسين من عمره لكنه لم يرزق بأطفال هو وزوجته برغم أنه فى سن الخمسين . قال للخادم :

ـ « هل يمكنك أن توصلنى لعيادة طبيب يا لى ؟ »

ـ « هل هناك مشكلة يا سيدى ؟ »

ـ « لا شىء .. غثيان .. ولا أفضل أن أقود السيارة بنفسى »

كان الخادم يعرف أن سيده يعشق القيادة ، لهذا فحاجته لسائق تعنى ما هو أكثر من الغثيان .. التقط مفتاحًا واتجه إلى المرسيدس الواقفة . كان يشعر بأنه بشكل ما أبو ريان .

انطلقت السيارة المرسيدس كأنها تطير فوق وسادة هوائية .. برغم أنها تطير كأنها فى حلم ، شعر ريان بأنها تقوده إلى كابوس .

ـ ٤ ـ

كان طبيب ريان يملك عيادة متخصصة كممارس عام . وكان يعطى موعدًا بعد يوم لكنه هذه المرة قابل ريان خلال ثلاث ساعات .

كان الطبيب يدعى فورست ستافورد وقد فحص ريان ثم أجرى أحد الفنيين تخطيط قلب . وفى الطابق الثالث من البناية تم فحص القلب بالموجات فوق صوتية (إيكو جرام) .

جلس فى الطابق ١٤ يراقب الميناء والسحب البيض المتسارعة . سمع باب ينفتح فاستدار . ظهر الطبيب بجسمه الضخم .. واتجه لحوض الغسيل قال لريان :

ـ « لم تكن نوبة قلبية »

قال ريان :

ـ « ليس بهذه البساطة »

ـ « قلبك متضخم »

تحفز ريان كأن الطبيب قاض يمكن أن ترشوه ليقول إنك سليم .

ـ « لكننى كنت أحفظ لياقتى وآكل جيدًا »

ـ « فى حالتك يبدو لى الأمر كعيب خلقى يكشف عن نفسه .. أو لربما استهلاك الكثير من الكحول أو تسمم »

شعر ريان بالبرد وقشعريرة .. قشعريرة تزحف على عموده الفقرى . قال الطبيب :

ـ « من أجل تشخيص دقيق لابد من أخذ خزعة من غشاء الشغاف »

ـ « هذا لا يبدو ممتعًا »

ـ « ليس مريحًا لكنه غير مؤلم .. كلمت طبيب أمراض قلب بارعًا ويمكن أن يأخذ الخزعة صباح غد »

ـ « هل مرضى قابل للشفاء ؟ »

ـ « لا يمكن أن نعالج ما لم نصل لتشخيص صحيح »

راحت أفكار ريان تتسارع وهو يدرك أن هذا منحنى خطير فى حياته . كان د. فورست طبيب ريان منذ فترة وزوجته صديقة سامانتا .. لذا قال له :

ـ « لا تدع سامانتا تعرف »

ـ « بالطبع لا »

ثم ابتسم الطبيب وقال :

ـ « أحيانًا أتمنى لو كنت احترفت طب الأسنان .. تسوس الأسنان لا يقتل . »

***

كان د . سمر جوبتا ذا وجه مستدير وصوت موسيقى وله يدان نحيلتان . راجع صورة نتيجة الموجات الصوتية وشرح لريان كيفية أخذ خزعة من شغاف القلب .

كان د . سمر يتصرف بثقة وبطء مع طريقة عملية واضحة ، وأعطاه موعدًا فى السابعة صباح الغد . قال إنه سيعطيه مهدئًا خفيفًا لينام ليلته ..

استقل ريان السيارة المرسيدس . فى مرآة الرؤية الخلفية راح الخادم لى يختلس النظر لسيده .. لم يكن يعرف لأى طبيب ذهب سيده ، لكنه كان يشعر بقلق الرجل ..

شعر لى بأن سيده يريد أن ينال الراحة فى بيته .. الملجأ .

ـ ٥ ـ

جلس ريان يلتهم الطعام وحده جالسًا إلى مائدة ذات عجلات ، وراح يقلب قنوات التلفزيون بحثًا عن فيلم كوميدى بين الأفلام القديمة . كان يشعر بأنه رجل حكم عليه بالإعدام برغم أنه لم يستكمل نموه بعد . راح يأكل فى نهم دون أن يعبأ بالسعرات أو الكولستيرول كأنه يخرج لسانه للموت .

ارتدى المنامة بعد الغداء وانزلق فى الفراش تحت الأغطية . لكن الأرق عذبه .

نهض إلى الصالة وجلس بقرب المطبخ .. يسمع ضوضاء قادمة من هناك .. لم يكن من المعتاد أن يظل آل تينج ساهرين حتى ساعة كهذه لأنهما يصحوان فى الثامنة صباحًا ، ولم يستطع فهم ما يقولان لأنهما يتهامسان .

خطر له أنه من الغريب أنهما يغسلان الأطباق فى ساعة كهذه . اتجه إلى المطبخ ليفتحه ، هنا داهمته نوبة أخرى .

حاول أن يقف بينما تخلت قدماه عنه .. وأظلم العالم من حوله . كان من الممكن أن يعتبر نفسه قد أصيب بالعمى لولا أضواء الردهة . سمع دقات قلبه عالية وشعر بأن هناك من يتسلل وراءه فى الظلام . أرغمه ثقل قلبه على أن يجلس على الأرض ..

كانت هناك عاصفة فى قلبه .. ثم بدأت تستقر وعادت الضربات هادئة منتظمة . استعاد قوته ومع استرداد عافيته تحول خوفه إلى شعور بالمهانة . نهض على قدميه وتحسس طريقه فى الظلام . إلى باب المطبخ الدوار .. فتحه وتحسس بحثًا عن الضوء فضغط عليه . لدهشته وجد أنه وحيد ..

راح يتفقد صور الكاميرات المحيطة بالبيت ونظام الإنذار .. لقد شغل آل تينج كل شيء . تذكر كلمات الطبيب عندما قال إن السبب قد يكون تسممًا . برغم أنه احتمال بعيد جدًا فقد راح يتردد فى ذهنه . أن يحدث خلل فى قلب رجل شاب فى منتصف العمر وفجأة . هذا يحتاج لتفسير أقوى من الصدفة .

راح يصغى لصوت دقات على النافذة .. كأنها قبضة تلتف فى قفاز من جلد .. على الأرجح هى حشرة تزحف هناك . لقد أثرت حالة قلبه فى تفكيره العقلانى . تجنب النظر للنافذة كى يوفر على نفسه آلاف المخاوف .

السم !.. لقد وصل للقمة بسهولة نسبية لكنه بالتأكيد ترك وراءه أعداء كارهين .. بعضهم تسببوا فى دمار أنفسهم بغبائهم لكنهم بالتأكيد يفضلون أن يلقوا المسئولية على ريان . لديه قائمة من خمسة أسماء .

تذكر الرقم السرى للمخبر الشخصى ويلسون موت ، وهو رقم يعرفه عملاء ويلسون الأثرياء فقط ، لابد أن يرد عليه فى أى ساعة من اليوم .. بعد تردد طلب الرقم .

جاء صوت ويلسون يقظًا كأى وقت آخر فى اليوم .. وبدلًا من أن يحكى له ريان قصته وشكوكه فى التسمم وجد نفسه يقول جملة لم يتوقع أن يقولها قط .. جملة جعلته يخرس بعدها من الدهشة :

ـ « أريد أن أجد امرأة اسمها ربيكا ريتش ! »

***

كانت ريبكا ريتش هي أم سامانثا .

حتى هذه الليلة عندما تناول العشاء مع سامانثا كان يحسب أن أمها توفيت . قالت له سامانثا إن أمها ماتت بالنسبة لها ، وكانت العلاقة بين المرأتين غريبة فعلاً .

يمكنه فهم سبب كراهية سامانثا لها لأنها من طلب وقف الحياة عن ابنتها الميتة إكلينيكيًا تيريزا .. لقد شعرت سامانثا بأن أمها خانتهما .

سأله ويلسون موت :

ـ « هل لديك معلومات عنها غير اسمها ؟ »

قال ريان :

ـ « تعيش في شقة في لاس فيجاس .. فقط أريد عنوانًا ورقم هاتف »

قال موت :

ـ « ربما الساعة الخامسة غدًا »

وضع ريان السماعة شاعرًا بالحيرة .. إذ ما جدوى ما طلبه بالنسبة لحالته الصحية ؟ . لكنه اعتاد في عمله أن يعتمد على حواسه وحدسه .. حدسه جعله غنيًا .

عاد للفراش وفتح التلفزيون على فيلم كلاسيكي بطولة أودري هيبورن . راح يراقب الفيلم دون أن يراه حقًا . لماذا ريبكا ؟ .. لو وجد موت شيئًا مريبًا فلسوف يكون عليه أن يتحرى كل شيء عن سامانثا نفسها .. لقد جعله الذعر من المرض متشككًا مصابًا بالبارانويا .

حاول النوم فلم يقدر .. غدًا يأخذون منه عينات للتحليل .. لو لم تكن النتيجة طيبة فلسوف يكون عنده وقت كاف للنوم .. الأبدية نفسها .

من وقت لآخر كانت الطرقات على النافذة تتكرر لكنه لم ينهض .. كان يخشى أن يزيح الستائر ليرى ما هنالك لأنه توقع أن هذه نهايته .

***

ـ ٦ ـ

كان هذا صباح الجمعة عندما انطلق نحو المستشفى . جازف بالقيادة لأنه لم يرغب أن يعرف لى بأنه ذاهب لعمل جراحة فى القلب . قال لنفسه إنه لا يريد أن يثير قلق الناس الذين يعملون من أجله ، لكنه فى الحقيقة رفض أن يعطى أى عدو افتراضى الشعور بالرضا .. لذة أن يعرفوا أنه مريض وهش .

اتجه إلى منصة المرضى الخارجيين فاقتادته موظفة لمختبر تشخيص القلب . هناك كانت ممرضة نحيلة ناولته قرصًا مهدئًا مع كوب ماء . فى غرفة جانبية ارتدى مريولة بلا ياقة وخفين من الورق . الاسم على سترة الممرضة يحمل اسم (إزماى كليم) .... تعامله بلطف واضح ..

وصل د . جوبتا مع مختص أشعة . وأخبر ريان أنه سيرقد على منضدة مريحة .. يجب أن تكون مريحة لأنه سينام عليها ثابتًا ساعة أو ساعتين ...

حقن الجلد فى أسفل عنقه بمخدر بسيط .. ثم تم تطهير الجلد . بدأ د . جوبتا يشق الوريد الودجى وأدخل قسطرة رفيعة وهو يصف ما يقوم به . خطر لريان أنه من الخطر أن يصاب بنوبة قلبية الآن ..

استقرت القسطرة الداخلية فى مكانها فبدأ د . جوبتا يدخل قسطرة أخرى لأخذ الخزعة لها ما يشبه الفك فى طرفها . وفقد ريان كل إحساس بالوقت ... لربما أمضى دقائق ولربما أمضى ساعة ..

فقط على الشاشة رأى كل شىء ورأى فك القسطرة ينغلق على قطعة لحم . فتنهد فى عمق ..

***

استغرق أخذ العينة والخياطة ٧٠ دقيقة .. ونظرًا لأن ريان لم ينم ليلًا فقد عمل المنوم عليه بقوة شديدة ، فطلب منه الطبيب أن يسترخى فى فراش بغرفة جانبية إلى أن يفيق ويستطيع القيادة . لم يتوقع أن ينام لكنه فعلها ..

تحسس موضع الضمادة ليتيقن من أنه لا يحلم وأن الخزعة أخذت فعلًا . ارتدى ثياب الشارع وهو يشعر بالخفة وأنه غير حقيقى ..عرف أنه نام ساعة كاملة حيث هو . قالت له الممرضة إزماى إن العينة لن تأتى نتيجتها قبل يوم الثلاثاء .

اتجه للمرآب حيث سيارته المرسيدس وانطلق بها . عاد لشقته فلم يلق لى ولا زوجته .. اتجه للمطبخ وأعد لنفسه غداء مبكرًا .. سلطة من الخرشوف وعش الغراب والأسباراجاس مع الخبز الإيطالى .

حمل الصينية لمكتبه فى الجناح الغربى ... وبرغم كل شىء كان يشعر بأن هناك من يراقبه ..

جلس يأكل وهو ينظر خارج النافذة الكبيرة لحمام السباحة والبحر من بعيد ..

دق جرس الهاتف . الرقم الذى لا يملكه سوى حفنة من الناس .. وعرف من كاشف شخصية المتصل أن هذه سامانثا .

ـ « كيف الحال يا وينكى ؟ هل ما زلت تشيخ ؟ »

ـ « لم ينبت شعر فى أذنى بعد »

ثم أضاف :

ـ « أنا آسف على إفسادى ليلة الأربعاء بالكلام عن أختك .. لذا أدعوك للعشاء الليلة .. »

كانت تحبه وهو يحبها .. رغبه منها بلا أساس . اقترحت عليه أن يأكلا بالخارج بدلًا من تلويث الأطباق .

وضع سماعة الهاتف ، ومشى للردهة وهو يحمل كأسًا فى يده . تذكر سحرة الفودوو الذين يستعملون شعرات من رأسك ليسحروك .. لابد أن ثلاث عينات من القلب لو وقعت فى يد ساحر فودوو لصنع بها العجب .. إنها أكثر انتماء وتأثيرًا .

اتصل بسامانتا من جديد وقال إنه سيتناول العشاء عندها .. هى طباخة ماهرة . السبب هو أنه لا يرغب فى أن يذهب معها للعشاء وسط عيون الرجال الحاقدة عليه . وضعت السماعة لكنه سمع ضحكة أنثوية قصيرة تخرج منها .

***

فى الرابعة ظهر الجمعة أرسل له ويلسون موت تقريرًا عن أم سامانتا . طبع ريان التقرير الذى جاء بالإيميل ثم تأكد من مسح الملف ، وجلس على شيزلونج جوار حمام السباحة ليقرأ .

ربيكا لوريان ريتش فى السادسة والخمسين تعيش فى شقة بلاس فيجاس وتعمل كديلر للعبة بلاك جاك فى كازينو فاخر . لديها سيارة فورد اكسبلورر . وصحيفة سوابقها نظيفة . قال أحد الجيران إنها غير اجتماعية وهى على علاقة عاطفية برجل يدعى سبنسر بارجست . وهو من ضمن حركة (الحق فى الموت) لذا قد ساعد مرضى كثيرين على الانتحار . لابد أنه كان يقدم لهؤلاء المرضى جرعات عالية من المنوم مما يغريهم بالموت .

شعر ريان بتوتر لدى سماع سيرة الموت . لكن برغم هذا كله شعر بشكل ما أن ظروف مرضه الأخيرة لها علاقة مبهمة بسامانثا أو أمها . لكن وجود بارجست فى حياة الأم لم يكن مجرد مصادفة ..

منذ ستة أعوام اتخذت هى قرار وقف الحياة والتغذية عن ابنتها الميتة مخيًا .. لابد أنها شعرت بالذنب .. لابد أنها بحثت عن مبرر .. هكذا قابلت رجلًا مثل سبنسر يؤمن بمنح المرضى الراحة النهائية .

عاد ريان لمكتبه وشغل جهاز تمزيق الورق .. وكاد يضع التقرير هناك .. وفجأة غير قراره ووضع الورقة فى خزانة .. . لقد تملك الخوف منه فعلًا وصار التحرر صعبًا .

فجأة أدرك أنه يريد الذهاب إلى لاس فيجاس . يريد أن يعرف أكثر عن ربيكا ريتش هذه .

***

— ٧ —

فى لاس فيجاس ، انتظرته سيارة مرسيدس سيدان مع سائق عند ممر وصول طائرات خاص . قال السائق إن اسمه جورج زين وهو يعمل فى مكتب ويلسون موت الخاص بالتحريات . كان فارع الطول متين البنيان له عينان قويتان . وله ندبتان على رأسه توحيان بأنهما نتيجة جراحة نزع قرنين . لم يكن مجرد سائق بل هو كذلك بودى جارد .

راح ريان فى المقعد الخلفى يرمق الصحراء ، بينما هو متجه للفندق الذى سيقيم فيه . هناك توقفت السيارة على حين حمل السائق المتاع الخاص به . ثم عاد السائق ليقدم له مفتاحًا إلكترونيًا وقال :

— « غرفة ١١٠٠ يا سيدى .. هى جناح فى الواقع ، وهى محجوزة باسمى حتى لا يظهر اسمك أنت »

كانت فيجاس تلتمع تحت شمس صحراء موهافى وكان الصبار والصخور فى كل مكان كجزء من زينة البيوت نفسها . أشجار النخيل والزيتون من حوله . وكانت المرئيات تهتز من الحرارة كأنها تحت الماء .

***

مجمع الشقق الذى تقيم فيه الأم كان يدعى (الواحة) . وكان مكونًا من طابقين من الشقق ذات لون الكريمة .. والسقف كان من بلاط أحمر اللون . توقفت السيارة وطلب السائق زين من ريان أن يترجل وحده حتى لا يثير الشكوك .

خلف البوابة كان هناك ممر إلى الفناء ، وقد مشى حتى المدخل العمومى . ولما اجتازه رأى حمام سباحة كبيرًا .. كانت أبخرة الكلور تتصاعد فتخنقه .. صعد فى الدرج باحثًا عن الشقة ٣٤ .. مد يده وفتح الباب ..

كانت تنتظره سمراء جميلة لها عينان رماديتان كحجر القبر . كانت تعمل مع ويلسون موت ومن الواضح أنها قوية قادرة . فتحت الباب وسمحت لريان بالدخول ثم قالت :

ـ « ربيكا تعمل فى وردية الصباح .. إنها فى الكازينو الآن »

ـ « هل وجدت شيئًا غريبًا ؟ »

ـ « لا أعرف ما تبحث عنه يا سيدى .. أنا هنا لفتح الباب فقط »

ـ « وما اسمك ؟ »

ـ « أفضل ألا أذكره فما نقوم به هنا غير قانونى »

دخل الشقة وراح يبحث فى المطبخ ..

كان يشعر كأنه لص برغم أنه لن يسرق أى شىء .. لكنه فتش المطبخ وغرفة الطعام وغرفة المعيشة ..

لم تكن هناك ذكريات .. مما دله على أنها ليست امرأة عاطفية لكنها مجنونة بالتنسيق والنظام . قلبه يدق بعنف لذا تنفس بعمق وهو يحاول أن يستعيد هدوءه . لقد جاء إلى هنا بحثًا عن خيوط مؤامرة تتهدد حياته وعليه أن يبحث بعناية ولا يصاب بنوبة قلبية ..

كانت غرفة المكتب منسقة وكان هناك نحو مئة كتاب على الأرفف . كلها تتعلق بالتنمية الذاتية والحصول على ثروة ولا يوجد عمل أدبى واحد . على

المكتب كانت بضع مجلات على قمتها عدد فانيتى فير الذى يحوى مقال سامانتا عنه .

كانت موظفة مكتب ويلسن موت تنتظر فى البهو .. ثم إنها غادرت الشقة مع ريان . وأدهشه أنها تأبطت ذراعه وراحت تثرثر عن فيلم رأته .. ثم أدرك أنها بهذا تبعد الشكوك حيث يبدوان كعاشقين . وعندما مشيا إلى خارج البوابة الخضراء فقد صوتها نغمته الموسيقية وفقد وجهها تألقه . قالت له :

ـ « سيارتى قريبة .. جورج سيقلك إلى الفندق »

سألها :

ـ « ماذا عن سبنسر بارجست ؟ »

ـ « سيخرج الليلة من بيته .. يمكننا دخوله وقتئذ »

ثم ابتعدت .. أما هو فعاد لسيارة المرسيدس المنتظرة شاعرًا بغرابة كل شىء ، وكأن هذه ليست الأرض التى ولد فيها .

***

كان يشعر بحاجة لزيارة الكازينو الذى تعمل فيه ربيكا .. كان يريد أن يراها رؤية العين . إلا أنه خشى أن تعرفه لو رأته خصوصًا أن صورته كانت واضحة فى المقال الذى كتبته ابنتها سامانتا .

استلقى فى الفراش بعد العشاء .. كان المناخ الصحراوى يحرق النافذة لكن الغرفة كانت باردة مريحة وتغرى بالنعاس . كانت معالم الغرفة تزداد ظلمة وضوء النهار يرحل . هناك من الطابق الحادى عشر تمتد لاس فيجاس كشريط مضىء بأنوار الكازينوهات ..

كان يسمع دقدقة وخليطًا من الأصوات .. لقد جعله المرض هشًا متشككًا .
دق جرس الهاتف فرفع السماعة . سمع جورج زين يقول له :
ـ « يمكنك القيام بالزيارة الثانية .. سأكون أمام المدخل فى نصف ساعة »
أخذ حمامًا سريعًا .. مسح الزجاج ليزيل البخار من عليه حتى يرى المكان بشكل واضح . بعد هذا فتش الجناح جيدًا وهو يغالب الشعور بأنه ليس وحيدًا . لم يكن يشعر بأى انتعاش وهو يلبس ثياب السهرة .

***

ـ ٨ ـ

كان بارجست يعيش فى بيت من طابق واحد وسط بيوت الطبقة الوسطى .

قاد زين السيارة ثم توقف على بعد أربعة مبان ، بينما ترجل ريان ليقطع المسافة على قدميه ..

كان الليل دافئًا جافًا مع رائحة الصحراء القلوية التى لم تستطع المدينة القضاء عليها .

اتجه للبيت .. هنا انفتح الباب ورأى الفتاة السمراء التى لا اسم لها ذات العينين الرماديتين تحييه . أغلقت الباب خلفه فسألها :

ـ « كم لى من الوقت ؟ »

ـ « ثلاث ساعات على الأقل .. إنه يتناول العشاء مع ربيكا ريتش . لابد أن يصحبها للرقص بعد العشاء »

ـ « وماذا لو عادا الآن ؟ »

ـ « لن يحدث »

وفى غرفة المعيشة جعلته يرى جثثًا .. جثث رجلين وجثة امرأة ..!

كان ريان قد قرأ عن استخدام الجثث الحية كتماثيل فنية . بعض المتاحف تقدم هذا لكنه لم يصدق أن يرى هذا رأى العين .. لقد كانت جثثًا محفوظة .

هذه الجثث قد عوملت جيدًا بسوائل مضادة للبكتريا وسوائل حافظة . وكانت مثبتة لقطع الأثاث ومغلفة بالبولى يوريثان . هذا جعل الموتى يتألقون

فى الضوء . أحد الرجلين بدا كأنه مر بمرض طويل جعله نحيلاً ضامرًا . وقـ
فتح عينًا وأغلق الأخرى كأنه كان يرهب رؤية الموت .

سألها :

ـ « هل الشرطة تعلم بوجود هذا المعرض ؟ »

ـ « كل واحد من هؤلاء وقع على موافقته لبارجست قبل الموت . هذا
نوع من الديكور »

ـ « ليس هذا مفيدًا للصحة العقلية لأى شخص »

ـ « لكنه قانونى ... المحاكم تعتبره نوعًا من العرض الثقافى »

وعادت للردهة لتسمح له بتفتيش المنزل كما يريد .

دخل غرفة المعيشة ليجد المزيد من هذا الفن البربرى .. فى غرفة الـ
كانت امرأة محنطة تجلس إلى أريكة . لم يستطع أن يأخذ راحته فى تفتيـ
الحجرة بسبب نظرتها الشاخصة .

على الرف فى المكتبة كان ألبوم يحوى مجموعة من الصور الفوتوغرافية
كانت وجوه موتى .. لا وجه بينها ينظر للكاميرا . وكل صورة تحمل رقم ملـ
مطبوع على الركن . خطر لريان أن هؤلاء القوم قد استعانوا ببارجست لـ
يسهل رحيلهم من عالمنا ..

لم تكن هناك جثث هنا مما جعله يتفقد الصور براحة أكثر . لكنه
يشعر بتدفق الدم فى عروقه .. وكان يسمع صوت همهمة عرف بعد قليـ
صوت تنفسه . ضغط على صدره كأنه يريح قلبه ويمنعه من التوقف .

لو مات هنا فسوف ترحل شهادة موت عادية ، ولسوف يحتفظ به بارحـ
بعيدة عن ثيابه ومحفظته ليتحول إلى قصة ديكور

* * *

موت المومياء في ملاكم .. وإن ظل يشم رائحة غريبة تدعو للغثيان في هو
الحجرة . واصل تقليب الصور .. هنا توجد صورة لوجه ساماتنا الميت تحمل
في الكاميرا .

لم تكن هذه ساماتنا طبعًا بل أختها التوءم نبريزا .. كان الشعر قد صار
ذات طابع أثري كأنها قديمة .. من الغريب أن ساماتنا لم تذكر له أي شيء عن
بارمست .. طبعًا كان بارمست هو من اتخذ قرار الموت الرحيم لنبريزا .

فجأة شعر بحركة خلفه فانتفض ذعرًا

وجد أنها السمراء ذات العينين الرماديتين كشاهد القبر .. كانت تقول :

ـ « أنا لا أخاف بسهولة .. لكني أكره هذا المكان »

ـ « أنا كذلك »

وانتزع صورة نبريزا من الملف ووضعها في جيبه فهتفت الفتاة

ـ « سوف يفتقدها »

ـ « لا يهم »

فكر قليلًا ثم سألها :

ـ « هل تعرفين رجلًا كهذا يلمسك ؟ »

ـ « سأطلق عليه الرصاص قبل أن يفعل ... المشكلة أن أناسًا كثيرين
يعشقون الموت .. ربما كذلك »

قال لها إنه انتهى من مهمته . وهكذا راحا يطفئان أنوار الشقة ويغلقان الأبواب التى فتحت ..

ثم إنهما غادرا الشقة .. وعبر الشارع كان زين يقف جوار المرسيدس .. همست لريان :

ـ « لو أردت أن تتكلم معى فاسمى كاتى سيينا .. لكن لا أستطيع أن أقول كلمة أخرى وإلا فقدت عملى فى وكالة موت »

وضغطت على كفه بيديها كأنها تودع صديقًا ، وقبل أن يتكلم كانت قد رحلت ، فعاد للسيارة وطلب من السائق أن يقصد الفندق . مزية أن تكون ثريًا أنك تستطيع أن تجد شخصًا مثل ويلسون موت وتطلب منه أى شىء وفى أى وقت ، ولن يظهر أى دهشة أو يرفع حاجبيه بل سينفذ بعاطفة أقرب للاحترام .

* * *

- ٩ -

هبطت الطائرة على المهبط فى المطار قبل موعده مع الطبيب بساعة واحدة . كان قد رتب سيارة ليموزين تنقله يقودها سائق ممتاز لا يعتقد أن تبادل المحادثة جزء من عمله .

انطلقت السيارة لمكتب د . جوبتا .. فى الداخل جلس ريان يحدق فى عينى تيريزا فى الصورة .. كونها توءم سامانتا جعلها صورة مثيرة للتشاؤم كأنها نبوءة بموت سامانتا نفسها .

كان يشعر بارتباك غريب وهو شىء لم يعهده فى نفسه من قبل . كان أبواه أنانيين لا مباليين مما جعله يقرر ألا يحبهما للأبد .. وأن يحقق كل ما حققه من نجاح . لم يستسلم قط .. وكان يعتبر كل فشل درسًا .. وكل نجاح تحديًا لتحقيق نجاح أكبر . لكنه الآن فى السيارة يشعر بأن شجاعته تتخلى عنه .

وتساءل : هل كان كل هذا البحث عن ربيكا ريتش مجرد محاولة للهرب من الخبر الذى قد يتلقاه فى عيادة طبيب القلب . كان يهرب من نبوءة الموت ليواجه البعبع الذى يعتقد أنه قادر على مواجهته .

كانت السيارة قد وصلت لعيادة الطبيب ، ففتح له السائق الباب . ترجل ريان وهو يدس صورة تريزا فى جيبه .. كأنها تعويذة تحميه مما هو آت .

***

قال د . جوبتا :

- « هذا عطب فى عضلة القلب cardiomyopathy »

كانا جالسين فى المكتب من أجل إعطاء طابع حميم لهذه الأخبار . راح ريان يتأمل الصور على المكتب لزوجة الطبيب وطفليه وكلبه الرتريفار الذهبى ، وشعر بحسد له لأن حياته أفضل من حياته بكثير .

قال سمر جوبتا :

ـ « عطب فى عضلة القلب .. هكذا تقل كفاءة الدورة الدموية »

كان صوته موسيقيًا وإن تخللته بعض الشفقة وهو يكمل كلامه :

ـ « هناك وهن عضلة قلب متسع أو متضخم أو مقيد .. أنت مصاب بالنوع المتضخم .. غالبًا هو مرض وراثى .. »

ـ « لم يشك والداى من شىء »

ـ « ربما قريب بعيد .. قد لا يعلن المرض عن نفسه سوى بالموت المفاجئ .. أليس لك قريب بعيد مات بنوبة قلبية فجأة ؟ »

ـ « والعلاج ؟ »

بدا الخجل على الطبيب كأنها غلطته وهو يقول :

ـ « غير قابل للشفاء . فقط نعطى بعض المدرات ونعطى أدوية تحميك من اختلال الضربات .. »

قال ريان وهو يتأمل صورة الكلب :

ـ « أنا أمارس رياضات عنيفة .. فهل أتوقف عنها ؟ »

ـ « المشكلة ليست فى التوقف .. المشكلة هى كم سوف تعيش .. وظائف قلبك سوف تتدهور باستمرار .. لا يمكن وقفها .. لا أعتقد أنك ستعيش أكثر من عام »

بلغ به الرعب الذروة .. الأمر أقرب لمقصلة نفسية تنتظره .. برغم أنه كان يتوقع الموت الفورى وهو ملقى على أرضية غرفة نومه .. لكن مهلة عام لا تعنى شيئًا ..

ـ « ليس أمامك حل سوى زرع قلب »

نظر له ريان فى دهشة فقال الطبيب :

ـ « سوف نقيد اسمك ضمن UNOS »

ـ « UNOS ؟ »

ـ « الشبكة المتحدة لتبادل الأعضاء .. إنها تتيح لنا العثور على أعضاء للزرع »

عاد يفكر ثم سأل الطبيب :

ـ « هل هناك من دس لى السم ؟ »

ـ « بالطبع لا .. تحليل الخلايا يظهر بوضوح أن الخلل وراثى »

قاوم ريان الدموع .. فهو لا يريد أن يبكى أمام الطبيب .. قال للرجل :

ـ « لا يوجد شىء مؤكد فى هذه الحياة سوى الموت والضرائب ! »

***

ـ ١٠ ـ

فى الأيام التالية مر ريان بحالة من النكران جعلته يمضى الساعات يفتش فى الإنترنت عن علاج عطب عضلة القلب . قرأ عن مرضى شفاهم جذر عشب فى البرازيل أو نبتة فى قلب جبال تايلاند . انهمك تمامًا وحاول ألا يتصل بسامانتا .

كان يحاول أن يتأقلم مع التشخيص وأن يجد الشجاعة الكافية ليخبرها .. كف عن أن يثق بعقله وحدسه فهو يؤمن أن نقص الأكسجين يلعب دورًا مهمًا وكان يشعر بالظلم الواضح فى أن يموت فى سن الرابعة والثلاثين ، لكنه يرفض أن يكون ضحية .. سوف يفك الأنشوطة من حول عنقه .

ظل بعد المقابلة عدة أيام فى غرفته .. يطلب الأكلات من الخادمين .. وكانا قد اعتادا أنه يمر بفترات كهذه عندما ينشغل بالبرمجة ، فيظل كالناسك فى موضع واحد ويلبس المنامة ويترك لحيته تنمو .

ثم إنه اتصل بسامانتا طالبًا لقاءها .. شعر أن الوقت قد حان كى يخبرها بالأمر .

فى شقتها كانت تلبس الكيمونو الأزرق وخفين من حرير فبدت أجمل من أى مرة رآها ريان فيها . لقد قضى ساعات طويلة ينظر لوجه أختها الميت حتى إنه نسى حيويتها وجمالها . كان قد أحضر أكياس طعام جاهز كى يريحها من الطهى ، فوضعها على رخامة المطبخ . وقال لها :

ـ « أنا ميت من الجوع .. هناك شطائر من لحم البقر بالقمح »

ضحكت وقالت :

ـ « حسبت أنك لن تقاوم جمالى فإذا بك تتكلم عن الأكل .. فى المرة القادمة سألبس لحم البقر بالقمح .. والمخلل كقرطين »

أفرغا الأكياس فى أطباق وحملا كل شىء لغرفة الجلوس . سألته والظلال تغمر وجهها :

ـ « لماذا قضيت أسبوعًا كاملًا بعيدًا ؟ »

ـ « القصة تتحسن أليس كذلك ؟ »

قالت :

ـ « لا أعرف كيف أصف هذا .. لكن السطور ذات سحر خاص .. »

كان قد وصل إلى السلام .. كل الشكوك التى كانت تفعم روحه انتهت .. ليست ربيكا ريتش بامرأة شريرة .. هى فقط ذات ذوق كريه فى الرجال ، وحبيبها شخص مريض نفسيًا قطعًا ، لكن لا علاقة لها ولا ابنتها بما حدث لقلبه .. رحلته إلى لاس فيجاس كانت مجرد تبديد للمال والوقت ..

لن يذكر هذه التجربة لها .. لو مات خلال عام فهو يريد أن تتذكره بصورة أفضل مما هو حقًا . بعد العشاء وأمام الأطباق الفارغة أمسك بيدها وحكى لها كل شىء .. لم يبالغ فى الأمر فيجعله أوبرا تراجيدية ، ولم يخفف الأمر ليجعله مضحكًا .

تقلصت يدها حول يده .. سال الدمع من عينيها برغم جهدها لمنعه .. والتمع ضوء الشموع على هذا البلل . أدركت أن كلامه عن هذا المرض يؤلمه أكثر مما يؤلمها معرفته .. كانا يملكان القدرة على مواجهة الحياة وكانا يملكان الثقة بالنفس . تأثر كثيرًا بمحاولاتها لمنع دموعها والظهور بمظهر قوى . وأدرك أنها ترتجف تحت الكيمونو وأن كل شريان فى جسدها ينبض بقوة .

سألته لما أنهى قصته :

ـ « ما فرصة حصولك على قلب جديد ؟ »

ـ « أربعة آلاف أمريكي يحتاجون للزرع كل عام .. لكن لا يتوافر سوى ألفي قلب »

ـ « إذن الاحتمال ٥٠٪ »

ـ « ليس بالضبط .. لابد من توافق نسيجي مع القلب الممنوح .. ثم إن أي قلب متوافر سوف يذهب لشخص يسبقني في قائمة الانتظار . الأسبوع القادم سأخضع لفحص نفساني ليروا إن كان الزرع مفيدًا لي .. »

ـ « مثل ؟ »

ـ « مثل إدمان الخمر .. التدخين .. استعدادي لتغيير نمط حياتي »

ـ « وما النواحي الطيبة في القصة ؟ »

ـ « أنني شاب وصحتي جيدة باستثناء القلب .. لو كنت مصابًا بأمراض أخرى فرصتي أقل . ثم إنني مستعد للدفع نقدًا ولن انتظر تغطية شركة تأمين »

أطفأت شمعة بين أصبعين فازداد الظلام وسألته :

ـ « وماذا أيضًا ؟ »

ـ « معدل الحياة خمس سنوات لمن يتلقى قلبًا مزروعًا هو ٧٥٪ أو يقترب من ذلك . لو عشت بالقلب المزروع خمسة أعوام فالفرصة عالية في أن أعيش خمسة أخرى »

مدت أناملها فبللت إصبعًا بالخمر ثم مدت يدها وأطفأت شمعة أخرى فساد الظلام أكثر .. ونهضت وهي تمسك بيدي وقالت :

ـ « احتضنني بقوة .. فقط افعل ذلك »

ـ ١١ ـ

قال لها بعد وقت طويل :

ـ « تزوجينى »

لم ترد وساد الصمت بعض الوقت . ثم قالت :

ـ « سيكون الأمر كأننى قبلت الزواج لأنك تموت »

ـ « لن أموت »

ـ « سيظن الكل أننى تزوجتك من أجل ثروتك »

ـ « لم أعبأ برأى الناس قط .. فلماذا أهتم الآن ؟ »

ـ « سأتزوجك عندما ينتهى هذا كله .. عندما تستقيم الأمور »

ـ « إذن فأنت جائزتى لو زرعت قلبًا .. »

ـ « يجب أن تصغى لى .. دع الأمور تجرى فى أعنتها »

***

اجتاز ريان الاختبار النفسى وتم وضعه فى قائمة شبكة تبادل الأعضاء .

بدا له أنه ينام بشكل طيب .. ولم يعد يسمع صوت القرعات والدقات المعتاد . وقد قدر أن تحسن حالته بسبب الأدوية التى وصفها له د . جوبتا : المدرات ومضادات اختلال الضربات .. لابد أن الأكسجين يصل لمخه بشكل أفضل فلم يعد يهذى .

كان لا يطيق صبرًا على الانتظار .. اسمه يرتفع فى قائمة مستقبلى الأعضاء لكن ليس بالسرعة الكافية . منحه جوبتا عامًا يحياه وقد مر شهران من هذا العام . كان يتابع أخبار الحوادث وقد بدأ يدرك حقيقة أن معظم هؤلاء لم

يوقعوا على بطاقة التبرع بالأعضاء بعد الموت ... كان طيلة حياته بصحة
جيدة لذا لم يوقع هذا التبرع ، واليوم قام بالتبرع بأعضائه لو مات وظلت
أعضاء سليمة فى جسده .

مع الوقت بدأ يدرك أن حالته تتدهور ببطء .. صار يتعب بسرعة أكثر وينام
لساعات أطول .. ولاحظ انتفاخًا فى وجهه وتحت عينيه . وكان يزداد عصبية
ويتشاجر بسهولة .. قال لسامانتا إنه آسف .. لابد أن هذه أعراض جانبية
للدواء فلن يلبث أن ينبت له شعر فى كفيه ويعوى فى الليالى المقمرة .

لاحظ كذلك أن نوبات توقف التنفس توقظه من النوم كثيرًا ، وأن جسده
يحتجز الماء ... كاحلاه متورمان تمامًا ..

أما عن صوت الدقات فقد عاد عاليًا لحوحًا .. أدرك أن هذا ليس صوت
متسلل لكنه صوت قلبه هو .. قلبه هو الذى يحاول أن يضخ الدم .. لو ظل
الحال كذا مع هذه القرعات فلن يجيب عليه ريان بل الموت نفسه .

فى الصباح جاءت السيارة الليموزين على الباب يقودها رجل يدعى ناركا ..

كان ريان قد حجز موعدًا مع طبيب قلب آخر اسمه دوجال هوب ..

كان قد تحرى جيدًا عن الطبيب فعرف أنه أبرع من جوبتا ، كما أن سجله
الطبى لم يحو غلطة أو شكوى واحدة .

كانت عيادة الرجل بناية ذات ثلاثة طوابق فى شارع هادئ على حواف
ضاحية بيفرلى هيلز . دخل المبنى الأنيق فوجد ردهة .. على اليمين ثلاثة
أبواب كتب على أولها (مواعيد) .. المقاعد مريحة أنيقة توحى بأن المرضى
يعاملون هنا كضيوف .. كانت موظفات الاستقبال لبقات أنيقات .. اقتادته

امرأة فى الأربعين اسمها لورا إلى مكتب جانبى وقالت إن د . هوب سيقابله حالًا . دخل د . هوب .. كان قصير القامة يلبس قميصًا أبيض بلا ربطة عنق وله حضور قوى وصوت جهير . وجلس الرجلان إلى أريكة مريحة . حكى مشكلته للطبيب .. وقال إنه فى سن صغيرة كهذه لا يتوقع أن يصاب بمرض قلب كهذا .. لابد من البارانويا والاكتئاب ... أصغى له الطبيب بشكل أبوى مطمئن جعله يشعر بأن هذا الطبيب لن يتركه يموت .

باقى اليوم أعاد الطبيب معظم الأبحاث .. وافترض أن فحص أنسجة ريان كان سليمًا . كان ريان لا يتوقع أن يتبين خطأ د . جوبتا .. ما أراده هو الأمل فى الشفاء .

كتب له د . هوب أربعة أدوية أخرى .. ثم أعطاه رقم هاتف مختصرًا يتصل به بمركز للطوارئ ، وأعطاه جهازًا يطلب هذا الرقم . أمره أن يبقيه معه دائمًا وأن يصحبه معه للحمام وأن يبقيه مشحونًا دائمًا . وطلب منه أن يصغى للإشارة طيلة الوقت فلربما تدق معلنة وجود قلب مناسب .

- : لا أثق بالهواتف العادية .. إن الناس يغلقونها أو يشغلون البريد الصوتى . هذه الأداة لا .. متى تم تشغيلها تظل كذلك للأبد .. أبقها معك فلربما يأتى وقتك .

***

لم يخبر ريان سامانثا بأنه غير طبيبه وأنه ترك جوبتا . كان يكره الجدل لذا راح يحاول أن يقلل أوقاته معها ..لم تكن موافقة على تغيير الطبيب لأنها ترى أن هذا يربك الأمور أكثر .

حافظ على زيارة أسبوعية للطبيب لأن الرجل أصر على متابعة الحالة عن كثب .

فى الساعة الخامسة من صباح الرابع عشر من يناير جاءت المكالمة .. لقد وجدوا قلبًا .

كان ريان فى قوائم عدة .. قوائم مجلة فوربس لمديرى الكمبيوتر .. قائمة مجلة وايرد لسادة الإنترنت .. قائمة مجلة بيبول للعزاب الأثرياء .. لكنه اليوم وصل لقمة أهم قائمة .

لقد انتهى انتظار طويل .. لقد صار الوقت بالغ الأهمية بالنسبة لريان .

سوف يبقون المتبرع الذى هو فى حالة موت مخى .. يبقونه حيًا إلى أن يصل ريان للمستشفى ، فلو انتزعه من صدر الميت نفس الفريق الذى سيزرعه فى صدر ريان ، لكانت الفرص ممتازة .

لكن قد تفشل المحاولة لو كان قلب المتبرع معطوبًا أو كان هناك خلل خفى فى الكلية أو الكبد .. لربما تتعطل الدورة الصناعية أو تنقطع كهرباء المستشفى .

اتصل بسامانتا وهو يخشى ألا ترد .. إنها الخامسة صباحًا . كانت منهمكة فى كتابة قصتها لذا كانت تخلد للنوم فى ساعات متأخرة . لم ترد سامانتا لكن كانت هناك رسالة مسجلة تطلب منه ترك رسالته ..

— « سامانتا .. أنا أحبك .. أحبك أكثر مما أستطيع وصفه . لقد جاءت المكالمة .. سوف أذهب لدكتور هوب ليجرى الجراحة . وسوف أستقل الطائرة حالًا .. تمنيت لو كنت معى لكن هذا مستحيل والوقت ضيق . أرجو لك التوفيق فى كتابك ، وأرجو لو أردت أن تكرسى القصة لى .. أحبك يا سامانتا »

ـ ١٢ ـ

كانت حقيبته معدة منذ أشهر .. جرها إلى المصعد ثم إلى الطابق السفلى . كان يحب هذا البيت جدًا لكنه لم يضيع دقيقة فى وداعه أو النظر حوله . فى الخارج كان الظلام والهدوء يقطعه صوت بومة من حين لآخر .

كان قد طلب سيارة إسعاف مستعملًا جهاز هوب . وسرعان ما وصلت السيارة وكان مسعف ينتظر ليقود ريان ويحمل حقيبته . استلقى على المحفة فى الطريق إلى المطار وراح ينظر حوله . خلال ساعات سوف ينشر د . هوب قفصه الصدرى ويفتح صدره وينزع قلبه السقيم ويضع مكانه قلب غريب .

برغم هذا شعر باطمئنان .. نحن لم نولد لننتظر .. بل ولدنا لنفعل .

تذكر أنه لم يتصل بأبويه .. لكن لا داعى لذلك فلن يفيداه فى شىء .. لقد رتب كل شىء للعناية بهما لو وقع الأسوأ .. ترك لهما معظم ثروته فى الوصية . هما لم يحباه قط لكنهما لم يعادياه صراحة ..

وصلت السيارة إلى مطار لونج بيتش ..

هناك كانت الطائرة الصغيرة الخاصة بدكتور هوب تنتظره ، وهى التى ستحمله مع فريقه إلى شانجهاى فى الصين . كانت مجهزة بكل ما قد يحتاج إليه مريض فى حالة حرجة . وصلت ثلاث سيارات إسعاف تقل د . هوب وفريقه من نقاط عدة فى لوس أنجيليس ..

ألقى ريان نظرة أخيرة إلى الشمس التى تشرق ببطء ، ثم ركب السيارة التى تحمله إلى حيث يولد من جديد أو يموت .

***

وأدرك أنه تحت تأثير مخدر ما ..

كان الوعى ينسحب منه

إنه فى المستشفى ، وهناك طبيب من مساعدى د . هوب يحلق شعر صدره وبطنه . نظر ريان للضوء وهمس :

ـ « حلقى جاف »

ـ « د . هوب لا يريد أن تشرب قبل الجراحة .. سأعطيك قطعة ثلج تمتصها »

وراح المساعد يقيس نبض ريان . راح النعاس يغلب ريان .. حاول أن يغالبه لأنه يشعر كأن هذا هو الموت .. الموت الأصغر هو النوم كما قال أحد الشعراء ..

الأجراس .. الأجراس ..

تدق .. تدق .. تدق .. تدق ..

الظلام فى كل مكان .. تمسك بحافة الفراش .. الأجراس .. هل هو يحلم ؟

قال ريان شيئًا فجاء صوت المساعد عاليًا يقول :

ـ « هناك كنيسة عبر الشارع »

من جديد عاد النعاس يغلبه .. كان يبكى وشعر بالدمع المالح على جانبى فمه .. لكنه كان قد فقد القدرة على أن يخفى دموعه أو يخجل منها .

بعد الفجر اقتادوه لغرفة العمليات ..

غرفة الجراحة والبورسلين الأبيض والصلب الذى لا يصدأ .. الضوء ..

جاء د . هوب مع مساعديه .. طبيب تخدير وثلاث ممرضات .. لم يستطع ريان تبين الوجوه خلف الأقنعة . طبيب التخدير يبحث عن وريد فى ساعده ثم غرس قناة . أخبره د . هوب أنهم نزعوا قلب المتبرع ويحفظونه فى محلول ملحى مثلج

كان القلب يخص مدرسة في السادسة والعشرين من عمرها .. تعرضت لحادث سيارة مروع . كان قلبها ذا حجم مناسب وكان متوافقًا مع الأنسجة . هذا سوف يأخذ ترسانة من ٢٨ عقارًا لفترة لا بأس بها .. وبعضها سيأخذه للأبد ..

لقد مات المتبرع . والقلب سليم .. هناك طريق واحد للمستقبل ولا يمكن التراجع .

راح يفكر في ساماننا . منذ ولد كان يبحث عن الكمال .. وقد وجد الكمال فيها .

بدأ النعاس يتسرب له .. غاص في البحر وازدادت الظلمة ظلمة ..

***

ـ ١٣ ـ

لم يزمع ريان بيرى الاحتفال بمرور عام على زرع القلب .. البقاء حيًا هو الاحتفال نفسه .

قضى النهار فى المرآب يعتنى بسيارة اشتراها من مزاد . ثم قضى العصر على تشيزلونج مريح يقرأ كتاب سامانتا الأول . أثرت القصة فى ريان ووجد نفسه يندفع بين الصفحات ..

دخل ونستون أمورى مع عربة ذات عجلات عليها إبريق قهوة ساخنة ، مع بعض اللوز المحمص . وقدم كوبًا كبيرًا لريان ، فشكره وطلب منه أن يعد العشاء فى الثامنة . كان ونستون خادمًا بريطانيًا يؤدى عمله جيدًا هو وزوجته بنيلوب ، لكن ريان كان يشعر أن الرجل يبالغ فى البريطانية لأنه يعتقد أن هذا يروق للأمريكان . كان قد طرد كل الخدم ولى وكاى تانج ، وإن دفع لكل واحد منهم راتب عامين قادمين مع خطاب توصية قوى . كان يرغب فى البدء بداية جديدة وأن يجد فى بيته مناخًا من السرية .

تناول العشاء ثم عاد لقصة سامانتا .. وقد قرر أن يقرأ فصلًا أو اثنين قبل النوم .

دخل إلى الفراش وكانت بنيلوب قد أعدت الفراش لنومه .. هناك فوق الوسادة وجد كيسًا وردى اللون ربط بشريط أحمر . كان يحوى قطعًا من الحلوى على شكل قلوب .. وأدرك أن هناك عبارة محفورة على كل قطعة تقول(كن لى) .. كان يذكر هذا النوع من الحلوى منذ طفولته ، وكانت كل قطعة تظهر عبارة مختلفة . يحتاج الأمر إلى عدد هائل من قطع الحلوى كى

تجمع كل هذا العدد من قطعة واحدة . بالطبع سبب هذه الهدية هو مرور عام على الجراحة .. لكنه لم يستطع معرفة من أرسلها .

راح يقرأ قصة سامانتا فى الفراش حتى الواحدة صباحًا ..

فى الثلاثة الأشهر التالية للجراحة كان يتعاطى ٢٨ دواء .. وكانت آثارها الجانبية تضايقه جدًا ، لكن مع الوقت بدأت الجرعات تقل وبعض الأدوية تتوقف ..

بعد عام لم يبد البتة أن الجسد سيطرد العضو .. لا حمى ولا ضعف ولا قيئ .. وعندما أجرى خزعة على عضلة القلب لم يجد طبيب الباثولوجى أى علامة على الطرد .

وكان يمارس المشى بكثرة على سبيل التريض .

قام بتخفيض إضاءة المصباح جوار الفراش .. كان قد اكتسب عادة عدم النوم فى ظلام دامس . كانت تصرفاته تتسم بقدر كبير من البارانويا ، لهذا كانت الشقة تحت نظام إنذار كامل وغرفة نومه مؤمنة ، كما أنه كان يحتفظ جوار الفراش بمسدس محشو .

فى الصباح سأل بنيلوب عن مصدر الحلوى التى وجدها على الوسادة فأنكرت بشدة معرفتها لشىء كهذا ، وبدا لها من الغريب أن يعامله أحد كنزيل فندق فى بيته الخاص . تساءلت عما إذا كان عليها أن تتصل برجل صيانة التدفئة ورجل صيانة للثلاجة . كانت تتكلم فى تقزز باعتبار هذا التسلل إهانة لكرامتها وأمانتها .

قال لها ريان :

- أنا سعيد بحماستك .. لكن أفضل أن تبقى هذه المشكلة داخل البيت .

وعاد للشيزلونج ليطالع كتاب ساماتنا للمرة الثالثة . كانت الرواية تحمل صوت ونبرات ساماتنا .. لقد وضعت فيها روحها . شعر بأنها رسالة كتبتها لـ تعبر عن حبها له قبل الجراحة .

لم يجد حلوى على الوسادة في الليلة التالية . وقد قدر أنه في الطريق إلى عالم البارانويا من جديد . كما كان في فترة مرضه عندما كان نقص الأكسجين الواصل لمخه يجعله يهلوس .

نظف أسنانه وارتدى المنامة . وقد قرر أن يتغلب على شكوكه ومخاوفه .. عاد لغرفة النوم فوجد على الفراش قلبًا صغيرًا من ذهب يتدلى من قلادة

***

فتح خزانة الحائط ذات الأرقام السرية وبحث عن المسدس عيار ٩ مله وأخذه وأغلق الباب .

لم يكن يخشى الموت لكنه لم يعش كل هذه الفترة كي يموت ببساطة غادر الخزانة وعبر غرفة النوم حافيًا وأضاء النور . المزلاج مغلق من الداخل .. فتح النافذة متوقعًا أن يرى وجهًا مقيتًا ينظر له . لكنه لم ير أحدًا ينتظر والنافذة مغلقة من الداخل . عاد للغرفة ورمق وجهه الصارم في المرآة والمسدس الضخم في يده ..

فتش في الردهة .. فتش في كل مكان .. كل شيء مغلق .

دخل الحمام حافي القدمين يمشي على الأرض الرخامية .. لا أحد .. هناك باب يقود لدورة المياه وباب يقود لمخزن بياضات . أزاح الثياب المعلقة متوقعًا أن يجد رجلًا يتوارى هناك .

لا يوجد صوت غريب سوى ضوضاء خفيفة فى العلية .. ثم أدرك أن هذا صوت مطر .

لا أحد .. لكن بالتأكيد كان هناك أحد ..

أمسك بالقلادة من جديد كأنها مسحورة وكأن لمستها ستنقل له طاقة روحية .. قلب القلب الصغير فوجد حفرًا على ظهره :

كُن لى

حمد الله على أن القلادة لا تنفتح .. لو كانت تنفتح لكان بداخلها شىء كريه لا يتمنى أن يراه .

فجأة تذكر الخزانة فى رعب .. لقد أخذ منها المسدس وأغلقها .. هرع نحوها فقرأ كلمة Secure آمنة .. بيد مرتجفة طلب الرقم السرى فظهرت كلمة Acess مسموح بالدخول . كان هناك أربعمئة ألف دولار فى الخزانة للطوارئ .. وساعتان ثمينتان وأزرار قميص ماسية .. كل شىء كان فى مكانه . وفى علبة من القطيفة كان خاتم زواج بثمانين ألف دولار هو خاتم الزواج الذى حاول أن يقنع سامانتا بارتدائه . هنا اكتشف اختفاء أشياء .. القلوب المصنوعة من الحلى والكيس الذى وضعت فيه .. كان قد وضعها هنا أمس .

لاحظ أيضًا بعد دقائق أن العلبة التى تحوى طلقات المسدس قد اختفت . علبة مليئة بالثقل والموت .. لن تختفى بسهولة . تفحص المسدس فاكتشف أنه خال من الطلقات بدوره .

راح يركض فى المنزل يفتش من غرفة لغرفة ..وهو يحمل مسدسًا لا قيمة له . كان يشعر بالإهانة من سخرية الذى اقتحم بيته .

ـ ١٤ ـ

قرر ريان أنه لن يحشو المسدس ثانية ويعيد استخدامه قبل أن يفحصه خبير أسلحة ، فلربما عبث المتسلل بالمسدس لينفجر فى وجهه وهو لا يعلم ما يكفى عن الأسلحة .

خطر له أن المتسلل يعرف الكثير عن البيت لذا راح يفتش عن شيء آخر . معظم هذه البيوت هائلة الحجم فيها غرفة هلع يختفى فيها صاحب البيت فى وقت الهجوم أو السطو . اتجه إلى الغرفة وفتحها .. كانت مزودة بدائرة كهربية مستقلة عن كهرباء البيت .. يمكن للمتسلل أن يمزق البيت كله لكن تظل هذه آمنة . بها طعام ومعلبات وماء ودورة مياه صغيرة بمرحاض كيميائى .. هناك فراش ومقعدان كذلك ..

على الفراش وجد الكيس الذى كان يحوى قلوب الحلوى ..

* * *

راح ريان يتفحص ما التقطته كاميرات المراقبة الموجودة فى الردهة . ضبط التوقيت على الوقت الذى دخل فيه الحمام لينظف أسنانه .. لكن الكاميرا لم تظهر أى شخص يدخل ليضع القلادة على الوسادة .. لم يخرج أحد من خزانة الثياب . لم يفارق أحد الجناح .. كما لم يكن هناك أحد عندما فتش المكان ..

كان يؤمن أن هذه ليست ظاهرة سحرية .. هناك تفسير عقلانى أكيد .

راح يتفحص الأفلام التى تم التقاطها للبيت من الخارج ، وهى أفلام يتم مسحها بعد ٣٠ يومًا ما لم تأمر النظام بغير ذلك . ليلة أمس رأى من النافذة امرأة تضع قلنسوة ومعطفًا وتمشى تحت المطر .. لم يتبين من هى لكنها كانت تقف قرب المنزل ..

لا صورة واحدة لهذه المرأة ..

لسبب ما عاد ليفتح الخزانة التى غير أرقامها . هنا اكتشف أن المسدس اختفى كما اختفى الرصاص .

لقد صار من المستحيل أن ينام فى هذا البيت .. لا توجد غرفة واحدة آمنة حتى لو نام فى خزانة البياضات .. هل ينام فى فندق ؟ لكنه استشاط غضبًا من الفكرة .. هو لم ينج من زرع قلب كى يفر هلعًا من مقالب شخص سخيف .

بلا سلاح هرع إلى المطبخ ليجد سكينًا .. عاد بها لغرفة النوم ورقد فوق الوسائد يشاهد (سيتكوم) سخيفة فى التلفزيون . راح يفكر .. إنه يتعاطى ٢٨ دواء ، فلربما يحدث أحدها أعراضًا جانبية منها الهلوسة .

لكنه كان يعرف أنه لا يهلوس .

ظل يقرأ فى كتاب سامانتا حتى غلبه النوم .. . وتمنى أن يحلم .. منذ الجراحة لم يحلم قط .. وقد شعر أن الحلم قد يهدئ من مخاوفه نوعًا ..

***

كان الملصق خلف نافذة المتجر يظهر سامانتا وغلاف كتابها ، مع عنوان يقول إنها ستوقع النسخ منذ الظهر . لم يكن ريان يشعر بأن هذا مكانه لكنه ذهب على كل حال . وجد عبارة تقول : « أفضل المبيعات حسب نيويورك تايمز » . لم يكن يدرك أن الكتاب نجح بهذا الشكل .

وقف بعيدًا يراقب سامانتا وسط الزحام ، وخطر له أن قلبه الجديد يعمل بكل قدرات قلبه القديم ..

فى الثانية والنصف غادرت سامانتا متجر الكتب مع سيدة مبهجة المنظر .. وكان ريان يكره الدنو من سامانتا وهى مع وكيل نشر أو ناشر . لكن بدا واضحًا أن المرأة التى ترافقها هى صاحبة متجر الكتب وقد صافحت سامانتا وودعتها .

ابتعدت سامانتا دون أن تلاحظ ريان وهى تعبث فى حقيبتها بحثًا عن المفاتيح .

رفعت عينها فرأته .. وكان هو قد نسى كيف كان ينوى أن يبدأها الكلام . الحقيقة أنهما لم يريا بعضهما منذ ستة أشهر ولم يتكلما منذ سبعة[1] . رأى فى عينيها نظرة آلمته جدًّا أكثر مما لو أظهرت الكره والاشمئزاز . قال لها :

ـ « انظرى لحالك ؟ كيف أنت ؟ »

ـ « وكيف أنت ؟ »

ـ « بخير يا سام .. وصلتنى أخبار الكتاب الناجح »

قالت فى حزن :

ـ « ليس هذا دليلًا على أننى حققت أكثر من معجزة مرة واحدة »

ـ « لكن الكتاب الثانى قادم حتمًا ... »

ابتسمت وقالت :

ـ « لا يوجد شىء يقلق جون جريشام على كل حال »

---

(١) لا يوجد حذف هنا .. فعلا علاقة ريان وسامانتا قد انتهت لكننا لا نعرف أى تفاصيل من النص الأصلى .

تمنى لو طوق كتفها لكنه خاف من أن تنكمش وتتصلب . طلب منها أن تجلس فوافقت قائلة إن الشمس ممتازة . جلسا هناك وقال لها وهو يقلب صفحات الرواية :

-« لم أتوقع أنها بهذه الجودة »

-« لا أدع أحدًا يقرأ ما أكتبه أثناء الكتابة .. هى عملية تحتاج للوحدة »

-« لكنك هناك .. كما يرقد قاع البحر بأسراره تحت غمامة من البلانكتون والأحياء المائية »

قالت :

-« أنا بالفعل هناك .. تحت البلانكتون »

ساد الصمت ثم سألها :

-« سامانثا .. أحاول طيلة الوقت فهم ما الذى افتقدته »

-« حاولت طيلة علاقتنا أن أخبرك .. ليس هذا عيبًا يمكن إصلاحه .. ليس عيبًا مثل طريقة أكلك أو رائحة فمك .. الأسوأ أن تحاول أن تغير هذا الشىء كى ترضينى »

-« سامانثا .. أنا ضائع »

-« أعرف هذا يا عزيزى .. أعرفه »

أمسك بيدها وشعر بامتنان لأنها تركت له يدها وقال :

-« لو عرفت هذا الشىء لحققته لك .. يمكن أن نبدأ من جديد »

-« تأخر الوقت يا ريان .. صدقنى ليس هناك أحد فى حياتى .. أنا سعيدة بهذا الشكل . لربما فيما بعد يظهر أحدهم فى حياتى »

-« لكنك تحبيننى .. مستحيل أن تحبينى ثم تتوقفى »

_ « أنا لم أتوقف .. أنا أحبك .. لكنى لن أكون فى علاقة حب معك »

_ « أنت تتلاعبين بالكلمات .. هلا قلت لى غلطتى ؟ »

_ « أنت لم ترتكب أخطاء »

ثم اعتصرت يده بقوة حتى إنها آلمته وقالت :

_ « دعنى أتذكر الوقت الذى كنت أحبك فيه ودعنى أتذكر هذه المحادثة يا ونكى .. »

ونزعت يدها ثم نهضت .. استدارت للخلف كأنها مترددة ثم ابتعدت ..

ظل ريان على المقعد في ضوء الشمس .. لاحظ امرأة آسيوية تقف على بعد عشرين قدمًا أمام المتجر . لابد أنها كانت تراقبه مع سامانتا . فى كل يد تحمل باقة من زهور السوسن ملفوفة بشريط أزرق . خطر له أنها ضائعة مثله ... لا يمكنها أن تساعده .

***

ـ ١٥ ـ

جاء صوت من الخلف يقول :

ـ « مرحبًا .. مرحبًا »

استدار ليرى المرأة الآسيوية ذات الزهر .. كانت فى العشرينيات من العمر رائعة الجمال لها شعر أسود براق .. مزيج هى من أوروبية وآسيوية . قالت له :

ـ « أنت تعرفها .. تعرف المؤلفة »

ـ « كانت صديقة قديمة »

ـ « تكتب جيدًا .. هذا كتاب جميل »

اعتذر فى أدب لأنه يجب أن ينصرف .. فمدت يدها بالزهر له وقالت :

ـ « بوسعى أن أرى الحزن بينكما .. سوف يفيدك هذا الزهر أكثر مما يفيدنى أنا »

ودفعت بالزهر بقوة فى صدره حتى إن إحدى الزهور تهشمت .. ووجد نفسه يمسك بالقمع السيلوفين الذى يحوى الباقة .

فجأة شعر بخط من نار عبر جانبه الأيسر ، وأحس بألم حاد ثم شىء يتمزق .. هنا رأى نصل المطواة !

سقط الزهر من يده فهتفت المرأة :

ـ « يمكننى أن أقتلك متى أردت ذلك »

مذهولاً ممسكًا بجرحه استند إلى سيارة .. ورآها تبتعد عنه مسرعة لكنها لم تجر ..

لقد كان النصل حادًا ومزق قميصه بنظافة .. كان الجرح مجرد قطع سطحى طوله أربع بوصات .. لا يحتاج لخياطة . رفع عينه فرأى أن جسدها الصغير يوشك على الاختفاء بين السيارات ..الصدمة أخرسته .. كاد يصرخ طلبًا للعون فلم يخرج سوى أزيز ..

لقد ذابت المرأة تمامًا وسط الزحام . لقد فشل فى أن يعلن عن نفسه ..

زحف للسيارة الفورد وبحث عن المفاتيح فى جيبه ، بينما العرق يغمر قميصه .. تناول قطعة قماش من التابلوه وضغط بها على الجرح . غسل يده الدامية بالماء من زجاجة كانت هناك . عليه أن يبتعد ، فمن الوارد أن تعود المرأة ثانية .. انطلق بالسيارة مسرعًا ، وكانت مجهزة بحيث يسمع المكالمات دون سماعة ..

دق جرس الهاتف فقال نعم .. جاء صوت المرأة يقول :

ـ « كيف حال الألم ؟ »

ـ « ماذا تريدين ؟ .. من أنت ؟ »

ـ « أنا صوت السوسن »

قال فى غيظ :

ـ « تكلمى كلامًا معقولًا .. أنت تتحدثين باسم الزوجين تينج أليس كذلك ؟ أنا طردتهما لكنى منحتهما خطاب توصية وراتب عامين »

ـ « الأمر لا يتعلق بآل تينج .. أنت تحسب أن الأمر يتعلق بهما لأن عينى آسيويتان مثلهم .. »

ـ « إذن ماذا هنالك ؟ »

ـ « أنت تعرف »

ـ « لو كنت أعرف لما سمحت لك بالدنو منى بحيث تجرحيننى »

ـ « هل أنت حقًا بهذا الغباء ؟ »

فكر فى بارجست والجثث المحفوظة .. لكنه لا يجد أى رابط بين الاثنين ...

قالت ضاغطة على كلامها :

ـ « قلبك ملك لى .. أريد أن أسترده »

لم يعرف كيف يرد .. فواصلت :

ـ « قلبك ملك لى ... »

ثم انفجرت فى البكاء ..

قدر أنها مجنونة تمامًا فلن يجدى الكلام العاقل معها .. وهنا وضعت السماعة ..

لقد تغير ضوء الإشارة ولم يتحرك .. لذا راحت أبواق السيارات تدوى من خلفه ..

كانت السماء صافية كأنها سلطانية مقلوبة لكن نشرة الأخبار تتوقع المطر ..

أدرك أنها ستعود .. ستعود برغم المطر .. ترتدى قلنسوة ولن تمنعها الأقفال ..

***

وقف فى المرآب بعد ما أوقف السيارة ..

أسعده أنه لا أحد هنالك فألقى بقطعة القماش الدامية . اتجه للحمام فغسل الجرح بالكحول ثم مسحه باليود .. جعل الألم مخه يصفو . بدل ثيابه وقد بدأ الألم يتلاشى .

طلب العشاء فى غرفة النوم ثم صب لنفسه بعض الخمر المعتقة ، واتصل بعيادة د . هوب قائلًا إنه مريض زرع قلب وهو فى حاجة إلى موعد عاجل .

بعد ١١ دقيقة اتصل به د . هوب .. فقال له :

ـ « آسف لإزعاجك .. الأمر لا يتعلق بمشكلة صحية .. لا أعرف كيف أصف .. »

ـ « حاول .. »

ـ « سأحاول التعبير بكلمات ..أريد معرفة الفتاة التى أخذت قلبها »

ـ « تعرف أنها مدرسة ضحية حادث .. فى السادسة والعشرين .. »

ـ « أريد صورة لها »

ـ « بعض الأسر ترفض تمامًا نشر صور أحبائها الذين منحوا أعضاءهم .. يفضلون أن يبقى حزنهم سرًا »

ـ « لقد تكلف الأمر بالجراحة ونفقات الطائرات ١,٦ مليون دولار .. وأنا سأمنح أسرتها ٥٠٠ ألف دولار إضافية مقابل صورة الفتاة »

ـ « رباه ! »

ـ « أنا فى ركن ضيق .. لا أستطيع الفرار .. لابد لى من أن أعرف من منحتنى قلبها »

قال الطبيب بعد صمت :

ـ « سأحاول مساعدتك .. لكنى بالفعل أريد فهم سبب إصرارك »

قال ريان عذرًا واهيًا لا يقنع أحدًا :

ـ « مشكلة روحية .. هى ماتت كى أعيش أنا .. بالتأكيد هى كانت أفضل منى .. أريد أن أتمكن من تكريمها بما يليق »

قال الطبيب :

ـ « هذا شيء غير معتاد لكنه حدث كثيرًا .. سوف أحاول أن أعرف من المتبرع »

ـ « أريد أن يتم هذا خلال أربع وعشرين ساعة »

تجاهل الطبيب هذا التعليق وقال ببرود :

ـ « الأزمات الروحية تدوم أعوامًا .. لا يوجد شيء يدعو للاستعجال »

قال ريان :

ـ « القضية هنا تختلف .. شكرًا على عونك وإدراكك »

***

– ١٦ –

جلس يلتهم الطعام وهو يفكر فى قصة الفتاة .. لقد كانت تستعمل المطواة ببراعة مذهولة ، لكنها ليست براعة من تمرس فى قتال الشوارع .. لم يكن هذا شغل جزارين ولكنه نوع راق من باليه القتل . برغم كل ما حدث كان سعيدًا .. كان قد قرر أن ما مر به من بارانويا والقلوب الحلوى .. إلخ .. كلها هلاوس من عقله الذى بدأ يتفسخ ، لكن الآن لديه دليل لا شك فيه على صحة شكوكه ..

لم يكن ينوى أن يقحم الشرطة فى القصة ما لم يعرف دوافع ما يحدث .. بل حتى وقتها لن يفعل ..

المرأة أرادت أن تفزعه فقط .. لكنها لو أرادته قتيلًا لظفرت بما تريد ..

عاد يتفحص كاميرات المراقبة التى تسجل ما يدور حول البيت من ١٢٤ ساعة .. لم يجد شيئًا ولم ير امرأة تتسلل .. هذا يوحى بأن هناك من كان يعطل الكاميرات .. وهذا يدل على أن المرأة لم تكن تعمل وحدها بل هناك مساعد لها ..

فجأة رأى صورة شىء عملاق وردى يخفق وتنبعث منه الدماء ..

للحظة لم يفهم ما هذا الذى يراه على الشاشة ، ثم أدرك بالتدقيق أن هذا شريط فيديو لقلب بشرى فى صدر مفتوح الضلوع .

لم يمس الريموت لكن الشاشة انقسمت لأجزاء تظهر نفس المشهد. ثم انقسمت أكثر ..

لم يكن هذا عرضًا فى الوقت الحقيقى . كان فيلمًا تسجيليًا لجراحة القلب .

تراجعت الكاميرا فظهرت يدا الجراح ..

وبدأت الشاشات تظلم واحدة تلو أخرى ...

لم يكن ريان بحاجة لطلب رأى خبير .. لقد تم اقتحام النظام وقد تم مسح ثلاثين يومًا من مراقبة الكاميرات .

***

راح ريان يقلب فى ملفاته بالمكتب بحثًا عن صورة تيريزا ريتش .. الصورة التى سرقها من شقة بارجست .

منذ ١٦ شهرًا كان يؤمن أن هذه الصورة سوف تنير الضباب الذى يغلف حياته منذ زمن .. لكنه لم ير ما يفيد . وقتها اعتقد أنها البارانويا لكنه يشعر بحاجته إلى أن يعود لهذا الوجه ثانية .

جلس على النضد فدق الهاتف .. لم يعرف شخصية المتكلم .

التقط السماعة فجاء صوت المرأة ذات أزهار السوسن تقول :

- « راجع حساباتك .. هناك تحويل بمئة ألف دولار لأبحاث القلب . أعتقد أن هذا يؤلمك أكثر من الجرح »

لم يلعب لعبتها وسألها :

- « من أنتم ؟ »

- « هناك أنا فقط »

- « كذابة .. لابد أنكم مؤسسة .. »

- « أنا أعمل وحدى .. وعلى كل حال أنت ميت فى جميع الظروف »

وضع سماعة الهاتف قبل أن تكمل الكلام ..

اتجه لجناح النوم ولم يغلق الأبواب ..

كان يعرف أنه سيتعذب بقوة قبل الدورة القادمة لذا لم يهتم بوضع سكين تحت الوسادة ..

صب لنفسه كأسًا ثالثة .. كان د . هوب قد نصحه بعدم الشرب لأن الكحول قد يعوق امتصاص واحد من الأدوية ال ٢٨ ..

جلس فى الفراش مع كتاب سامانتا ونام هو يقرأ .. حلم بمحتويات كتابها ..

فى الثامنة والربع أيقظته مكالمة من د . دوجال هوب .. لقد تلقى الجراح صورة بالبريد الإلكترونى للابنة التى يخفق قلبها اليوم فى صدره .

ـ « كما فهمت هم يريدون أن يخبروك باسمها الأول وليس اسم الأسرة .. وقد شرحت لهم أنك مصاب بحالة روحية من الحيرة .. لقد رفضوا أن تدفع لهم أى مبلغ »

ـ « هذا غير متوقع .. أنا مسرور »

ـ « هم أناس رائعون .. لهذا يجب أن تقسم لى أنك لن تتكلم عن الفتاة أو تستعمل صورتها »

قال ريان :

ـ « الصورة والاسم لى فقط »

ـ « أنا أرسل لك إيميلًا بكل شىء فى هذه اللحظة »

ـ « أشكرك بشدة على اهتمامك بمطلبى »

ثم هرع إلى الإيميل وفتح كى يرى رسالة د . هوب ..

فيما عدا لون الشعر ، فقد بدت له الفتاة قريبة متوفاة للفتاة ذات المطواة ..

كان اسمها (ليلى) .. ليلى معناها (سوسن) ..

كان شكل فمها يوحى بأكثر من الثقة .. ربما التحدى .

جلس يدرس صورة ليلى على النضد . وقدر أنها توءم المرأة التى هاجمته ..

لا شك فى هذا ..

قالت له : « أنا صوت السوسن » .

وضع صورتها جوار صورة تيريزا بيرش . الأولى حية والأخرى ميتة .. كلتاهما فى حادث سيارة . وكلتاهما لها توءم عاشت بعدها ...

كلما تأمل الأمر ازداد عدم راحة .. لقد أدرك أن دوامة حقيقية توشك على الاكتمال وسرعان ما تضربه بقوة تسونامى .

كان يعرف أن التوءمين المتشابهين ، عندما يظل أحدهما حيًا بعد أخيه يشعر بذنب شديد .. .خاصة لو كانت توءم ليلى تقود السيارة وقت الحادث الذى قتل الأخت .

ظل يتأمل صورة تيريزا .. ما زال يشعر بشكل يقينى أنها تحوى الإجابة على أسئلته كلها ..

فى التاسعة والربع اتصل بويلسون موت الذى كان يسره سماع صوته ..

قال له :

-« سأطير للاس فيجاس عصرًا .. . هل جورج زين وكاتى سينا ما زالا يعملان معك ؟ »

-« ما زالا هناك »

ـ « أنا بحاجة لتكرار زيارتى للسيد .. »

ـ « سنبذل قصارى جهدنا »

وضع ريان الصورتين فى مظروفين . ووقف فى الجناح الدافئ جوار المنضدة الأنيقة . بدأ يرتجف .. وتملك منه الرعب .. لم يفهم ما أثار رعبه لكنه أدرك أن الإجابة قريبة جدًا .

***

ـ ١٧ ـ

كانت السماء رمادية فى ذلك العصر فى لاس فيجاس . كأنها وجه مقامر يقف أمام منضدة القمار وقد فقد كل ماله .

وفى مهبط الطائرات الخاص كان جورج زين ينتظر بسيارة مرسيدس سيدان، وقد بدا أقوى من سيارته . فتح الباب الخلفى لريان وقال :

- « عصرًا طيبًا يا مستر بيرى »

- « يسرنى أن أراك يا جورج .. يبدو أن جوًا سيئًا قادم فى الطريق »

واتجهت السيارة إلى خارج المطار .. بينما سأل ريان السائق :

- « هل تعتقد أن بارجست سوف يفارق شقته الليلة ؟ هل نتمكن من الدخول ؟ »

- « نحن ذاهبان إلى هناك فعلًا .. لقد سافر ولن يعود قبل الأربعاء .. يحضر مؤتمرًا عن تقليل عدد البشرية .. لديهم خطط ممتازة لكنهم بحاجة إلى أن يقنعونا »

وطارت بعض أوراق الصحف فى الهواء عند المنحنى . قال ريان :

- « أليس من الحكمة أن ننتظر حتى الليل ؟ »

- « من الأفضل لتقليل الشبهات أن تتحرك فى ضوء النهار ... »

بدا بيت (دكتور موت) عاديًا كأى بيت فى الجيرة . مما جعل ريان يتساءل عما يدور فى البيوت الأخرى . دخل جورج المرآب وكانت كاتى قد وصلت منذ فترة ، وقد وقفت عند مدخل البيت . ارتفع باب المرآب فحيت ريان بمصافحته .. العينان الجرانيت الرماديتان .. قالت له :

ـ « لم أحسب أن الأمر سيروق لك لهذه الدرجة فى آخر مرة »

ـ « لم تكن ديزنى لاند .. لكنها صعبة النسيان »

وفى المطبخ شرح لهما ريان أنه يريد التفتيش عن خزائن سرية أو ملفات مخفية يحتفظ فيها بارجست بقضايا الانتحار التى تسبب فيها . وهو سيراجع الملفات التى تضم صور الموتى . لم يكن صاحب البيت قد أضاف تحفًا جديدة للمجموعة . كان هناك ملف صور جديد فتناوله وراح يقلبه . وجد صورة لرجل فى السبعين من عمره ووجد صورة لصبى أزرق العينين . هناك إحدى عشرة وفاة فى ١٦ شهرًا .. هذا الرجل يعمل بانتظام .

لاحظ فجأة نسخة من كتاب سامانتا على المكتب .. موضوع ووجهه لأسفل . بعد تردد التقط الكتاب وسره أن المؤلفة لم تكتب إهداء أو تعليقًا . من المفهوم أن يقوم بارجست بشراء نسخة من الكتاب .. لقد كان على علاقة بأم المؤلفة طيلة ستة أعوام .. بل إنه ساعد أخت المؤلفة كى تموت . سَمِّ هذا قتلًا أو رحمة .. هذا ليس شأننا بل شأن تيريزا التى ماتت .. وبما أنه لا يوجد وسيط روحانى موثوق فيه فنحن لن نعرف أبدًا .

راح يقلب الصور بحثًا عن شىء لم يخطر له فى المرة الأولى ..

فجأة وجد صورة جديدة لم تكن موجودة .. صورة شخص يعرفه جيدًا ..

راح قلبه يخفق فى جزع مثلما كان عندما طعنته أخت ليلى .. لقد تعرف المرأة الموجودة فى الصورة ..

أنا هنا .. أنا أراقبك ..

الجلد الناعم الأسمر ..

لا تحبس أنفاسك ..

العينان الخضراوان بلون الزمرد ..

بعد ١٢ صورة من تيريزا التى ماتت منذ ستة أعوام .. هنا صورة إحدى الممرضتين اللتين ساعدتا د . جوبتا فى أخذ عينة القلب .. كان اسمها إزماى كليم ..

***

الريح تعبث فى أوراق الشجر فى الخارج بينما هو يتأمل الصورة فى ذهول ..

هل هذه نقطة الارتكاز التى تؤكد له أنه لا يهذى ؟.. هناك مؤامرة حقيقية عليه . صوت دقات من غرفة أخرى .. لابد أنه زين والفتاة يضربان على الجدران لاستبعاد وجود باب سرى .

لا يستطيع الاتصال بدكتور جوبتا كى يسأله عن هذه الممرضة بعد ما تركه بلا إنذار كى يفحصه طبيب آخر هو هوب .

انتزع الصورة الميتة من الملف ووضعها فى جيبه .. بينما الريح تزداد حدة فى الخارج كأنها موسى تنزع الجلد عن أى بقعة عارية . وبدأت السحب تتحرك فى غبار أصفر . تناول من مظروف صور تيريزا ريتش وليلى ووضعهما جوار صورة إزماى كليم .

كان يقف الآن فى العراء شاعرًا بالضياع .. حياته كلها تتجه فى طريق آخر . ليس من طريق ولا مكان يذهب له سوى بيته .. وبعد وقت طال أو قصر سوف يشق أحدهم صدره بالسكين لينزع قلبه .

***

جاء صوت المرأة واندا عبر الهاتف .. المرأة التى كانت زميلة إزماى كليم والتى وجدها ببعض البحث فى استعلامات الهاتف .. قالت له :

ـ « كان زواج إزماى خطأ .. أول زوج لها يدعى ريجى وقد قالت إنه قديس .. لكنه مات وهى فى الأربعين . تزوجت بعد سبع سنوات من ألفين .. كانت تحبه برغمه .. ظلت معه ثمانية أعوام حتى سقطت من درجات سلم وهشمت مؤخرة جمجمتها على الخرسانة . لا تسئ فهمى يا بنى .. أنا لا أتهم أحدًا أو ألوث سمعة شخص . لم أر حلقة بوليسية فى حياتى . لكن هناك رجال شرطة كثيرين فى القصة ولا بد أنهم يعرفون ما يفعلون . قالوا إنه حادث . لا أفهم لماذا ظفر ألفين بنقود التأمين وتزوج امرأة أخرى بعد شهر .. لربما أضنته الوحدة »

ـ « هل ماتت فى السقطة ؟ »

ـ « لا .. أجروا عليها جراحة كبرى .. لم تكن تعرف من هى وكان مخها منتفخًا .. ثم استعادت وعيها . وصارت إزماى من جديد . ثم أصيبت بنوبة قلبية قوية بينما ألفين يزورها .. ليرحمها الله »

عاد يسألها سؤالًا مهمًّا :

ـ « متى ماتت إزماى ؟ »

ـ « ثلاثة أعوام .. أحضر لها ألفين وشاحًا من حرير .. لابد أنه راق لها إلى درجة أنها أصيبت بنوبة قلبية .

لو كانت واندا محقة ، فلابد أن إزماى ماتت منذ ٢١ شهرًا قبل الجراحة التى قابلها فيها ريان .

قالت واندا :

ـ « قابلت ألفين في رأس السنة على شبكة الإنترنت .. الإنترنت هي ملعب الشيطان .. لو لم تدخل الإنترنت لظلت في دنفر مع أختها . دنفر .. ولدت هناك .. ثم انتقلت لتعيش في نيوبورت »

ـ « وأختها ما زالت حية ؟ »

ـ « أختها تدعى إزمينا .. لم تتزوج .. فتاة رائعة »

ـ « هل كنت على اتصال بإزمينا ؟ »

ـ « اسمها قبل الزواج إزمينا مون .. أما ألفين فمنح زوجته لقب كليم .. إن إزمينا تعيش في نفس البيت الذي عاشت فيه إزماي .. »

ـ « كما قلت .. كانت إزماي كريمة معي جدًا في وقت صعب من حياتي .. أردت أن أرد لها . لكني بحاجة ماسة إلى لقاء الأخت إزمينا »

ـ « إزمينا تفتقد إزماي .. سوف يروق لها أن يزورها شاب مهذب لديه ذكريات جميلة عن أختها .. سوف أعطيك الرقم »

***

ـ ١٨ ـ

فى رحلة العودة بالمرسيدس إلى المطار ، راح ريان يتفحص صور الثلاث النساء ..

صارت الأضواء تتراقص بفعل الريح فى التقاطعات .. وتساقطت سعاف النخيل .. وخلت الشوارع من المارة .. بدا الأمر كأنها غضبة طبيعة لو رآها وثنى لقدم القرابين للطبيعة كى تهدأ ..

أعاد الصور للمظروف وقال لكاتى وجون :

ـ « سوف أطير لدنفر من هنا .. لا أعتقد أننى سأحتاج لأحد هناك . أريد شخصًا معه رخصة »

قال جورج زين :

ـ « لا مشكلة لدينا فى الذهاب لكولورادو .. كاتى مدربة على السلاح مثلى .. بل هى أفضل منى »

قالت كاتى :

ـ « معى فى حقيبتى طاقم واحد من الثياب .. لا أستطيع الذهاب لكولورادو »

قال ريان :

ـ « لن تحتاجى لأكثر من هذا .. سنعود لكاليفورنيا غدًا »

كان بحاجة إلى رفقة أكثر مما يحتاج لحماية سلاح .. لقد قضى فترة طويلة وحيدًا العام الماضى .. . كان كذلك بحاجة إلى أن يوجه سؤالًا لكاتى .. لا يعرف كنه السؤال .. ما زال يتشكل فى مؤخرة عقله ..

***

انطلقت الطائرة إلى كولورادو .. نهض ليدخل الحمام ..

ركع على ركبتيه وتقيأ فى المرحاض . لقد صارت معدته عصبية جدًا مؤخرًا . وأثار هلعه مدى شحوب أنامله . جلس على المرحاض وهو يشعر بوهن فى قدميه .. يداه ترتجفان ..

سمع قرعات على الباب فارتجف .. كان هذا صوت كاتى تسأله :

ـ « هل أنت بخير ؟ »

شرح لها :

ـ « مجرد دوار من الجو .. فقط أعطينى دقيقة »

لم يكن هذا دوار جو .. كان يشعر بغثيان من الخوف .. مما قد يجده فى بيت إزمينا مون فى دنفر .

وسط السحب هبطت الطائرة لتظهر دنفر متوهجة فى هواء المساء .

كان قد اتصل بايزمينا وأخبرها أن أختها الميتة قد أسدت له خدمة .. وهو يريد أن يزورها ليعرف أكثر عن إزماى . ثم إنه رتب سيارة كاديلاك تنتظره فى المطار .

وضعا الحقائب فى مؤخرة الكاديلاك وطلب من كاتى أن تقود .. وراح يقرأ عنوان إزمينا من مفكرة .

راحت كاتى تقود ببراعة .. كانت تبتسم مما أعطاه الانطباع أنها تجد راحة أفضل مع الآلات . سألته :

ـ « هل لى أن أعرف لماذا نحن هنا ؟ »

أخبرها بقصة إزماى كليم أثناء جراحة أخذ العينة .. ثم عرف أن الممرضة ماتت .

لم يبد أى تعبير على وجه كاتى .. ثم سألته :

ـ « ما معنى هذا ؟ »

ـ « إزمينا وإزماى توءمان متشابهان .. »

ـ « هل تعتقد أن إزمينا حضرت الجراحة ؟ لكنها كانت تستعمل اسم إزماى ؟ »

ـ « هذا ما أحاول معرفته »

وساد الصمت فيما عدا صوت المرأة الآلى عبر جهاز التوجيه .

كانت كاتى قد تعلمت أن تصغى باهتمام إلى ما يخبرها به العميل ، وأن تتجاهل تمامًا كل ما لا يقوله الزبون . ظهرت الساحة بأشجار البلوط وكنيسة عتيقة .. قبل أن يعلن الجهاز اقتراب منحنى أخير إلى اليسار .

قال لها :

ـ « توقفى ... أعرف هذا المكان .. لربما مشينا لبيتها »

لم تكن ثيابهما ثقيلة بما يكفى ، لكنهما دسا الأيدى فى الجيوب ومشيا نحو الكنيسة والغابة حولها . كانت هناك طبقة ثلج رقيقة لم تفسدها بعد أقدام الصبية .. قال لكاتى :

ـ « كنت هنا منذ ١٦ شهرًا .. كنت أسمع صوت أوراق الأشجار تحف ، وخطر لى إننى كنت أحب هذا الصوت .. ثم فطنت إلى أننى لم أسمعه من قبل .. لقد كانت ظاهرة ديجافو قوية »

وشعر بلسعة البرد فى حلمتى أذنيه . ودمعت عيناه . رأى مقبرة لم يرها من قبل .. فتوقف وهمس :

ـ « أراهن أنها مدفونة هنا »

ـ « هل تعنى إزماى كليم ؟ »

ـ « نعم »

وعبرا المقبرة ليظهر شارع من صف مبان واحد . البيت السادس كان بيت إزمينا مون . كان مضاء . دق ريان مقبض الباب ففتحت له امرأة جميلة القسمات فى الستين من عمرها .. كان لها شعر أبيض وعينان واسعتان . ثيابها السود وكماها المرفوعان أوحيا بأنها كانت عائدة من صلاة المساء . قال لها :

ـ « أنا على موعد مع إزمينا كليم »

قالت المرأة :

ـ « هى أنا .. يسعدنى أن أراك .. هلم .. سوف تصابان بالتهاب رئوى »

إزمينا وإزماى لم تكونا توءمين من أى نوع ..

***

– ١٩ –

بالداخل أعدت إزمينا القهوة لهما ثم صبتها .. ومعه كعك جميل الشكل .

كانت امرأة لطيفة كريمة وقد بدا أنها سعيدة بالكلام فى موضوعها المفضل : اختها .

كانت نظرية التوءمين المتشابهين التى تبناها لفترة قد تلاشت تمامًا ...

قالت إزمينا :

ـ « أفهم كيف أن تشابه الأسماء قد سبب لك ربكة .. لكن كلها تنويعات على اسم (آمي) .. وهو اسم شائع فى العصر الفكتورى »

نهض ريان إلى رف فوق مدفأة حيث تجد عددًا من الكتب العتيقة المجلدة بأناقة . كانت مجموعات كاملة لديكنز وويلكى كولينز . وتوقف أمام تمثال رخامى ضخم غراب .

قالت إزمينا :

ـ « كانت إزماى تحب هذا .. أردت تثبيته على مدخل الباب كما فى القصيدة لكنى أكره تعليق أشياء ثقيلة فوق رأسى .. كانت تعشق أشعار بو .. كانت تحفظ كل قصائده ما عدا قصيدة الغراف »

شعر ريان برعب وهو يتذكر الإيقاع المتكرر المميز لشعر بو والذى يتمشى مع الجو المقبض المخيم على حياته . قال بصوت مبحوح للسيدة :

ـ « لاحظت أن عندك عدة نسخ من أشعار بو »

ـ « كانت إزماى تبتاع الأشعار في كل مرة تجد طبعة جديدة .. لكن ما زلت أحاول فهم أى خدمة أسدتها لك حتى دفعتك لعناء السفر لبيتها »

جلس على الأريكة جوار كاتى وبدأ يلفق قصة بعيدة عن الحقيقة ..

لم يذكر شيئًا عن الجراحة وزرع القلب لكنه زعم أنها دعامة . كان مذعورًا تطيبت إزماى خاطره لعدة ساعات فى المستشفى .. لابد أنه أجاد الكذب لأن الدموع ملأت عينى إزمينا وقالت :

ـ « هذه هى بالفعل .. إزماى كانت تعطى .. طيلة الوقت تعطى »

ارتدت إزمينا معطفًا واصطحبت ريان وكاتى عبر الشارع نحو المقبرة .. قادتهما إلى قبر إزماى وسلطت الضوء على شاهد القبر .

***

فى السيارة ظل صامتًا .. لم يكن لديه مزاج ليتكلم أو يصغى . ظلت كاتى صامتة مفكرة .

فى مصعد الفندق كانت غرفتها تقع تحت غرفته بأربعة طوابق . قالت له والباب ينفتح :

ـ « نومًا طيبًا »

بدأت معدته تنقلب .. شعر بأنه موشك على القىء .

فى غرفته أخذ الأدوية مع زجاجة بيرة من الثلاجة .. ابتلع قرصين وخمسة كابسولات ثم راح يطالع كتاب أشعار إدجار آلان بو الذى أخذه من السيدة . وجد قصيدة اسمها البحيرة .. فطن فى رعب إلى أنه يقابل هذه البحيرة كثيرًا فى أحلامه .. وجد قصيدة أخرى اسمها القصر المسكون .. كانت تحكى قصة كوابيس أخرى ..

لم يكن ريان مستعدًا للغوص فى بحار الاعتقاد بالخرافات .. هذا وقت خطر للغطس ..

لم يكن يؤمن بالأشباح ولا يعتقد أن إزماى كانت تجعله يعيش فى عوالم شاعرها المفضل ..

سوف يحاول النوم وهو يعرف أنه لن يقدر على ذلك بحالته الحالية .. كان يشتهى نومًا بلا أحلام .. لا يستطيع تحمل البقاء متيقظًا .

اتجه للبار ليفعل الشىء الذى ما كان د . هوب ولا أى طبيب ليوافق عليه لمريض زرع قلب .. شرب الجين حتى الثمالة إلى أن فقد وعيه تقريبًا .

كان الصداع يفتت رأسه وهو جالس جوار كاتى فى الطائرة العائدة .. الإقلاع واضطراب معدته أوشكا على جعله يقىء الإفطار كله ..

كانت الطائرة ذات مقاعد تعطيها طابع قاعات المؤتمرات . جلس مواجهًا كاتى فرفعت له عينها من جريدة تطالعها ..

قال لها :

ـ « أنت تجيدين السيطرة على النفس فعلًا .. تجيدين إخفاء فضولك »

ـ « مستر بيرى .. الحياة تدهمنا بلا توقف بأمور لا نفهمها .. لو حاولت فهم هذه الأمور فلن يبقى لى وقت لأعيش الحياة التى أفهمها »

طلب كأسًا من مارى الدموية وطلبت هى قهوة سوداء .. ثم قالت :

ـ « هناك أمور لا يجدر بالمرء أن يتكلم عنها على متن طائرة مع شخص غريب »

تأملها فى اهتمام .. كانت رائعة الجمال لكنها لا تملك اكتمال سامانتا .. وصل الشراب فاكتشف فجأة أنه لا يريده . وجد نفسه يحكى لها قصته بالتفصيل ..

قال لها :

ـ « اعتقادى الخاص أن أخت ليلى التوءم كانت تقود السيارة وقت الحادث ... بعد الحادث شعرت بالذنب .. قامت بتحويل الذنب كما يقول علماء النفس عن طريق الإزاحة .. هكذا صرت أنا المجرم لأننى أحمل قلب ليلى »

ـ « هل هى خطرة ؟ »

ـ « جدًا »

ثم راح يتأمل السحاب وسط أشعة الشمس وقال :

ـ « الحياة بقلب شخص آخر .. لم أتصور قط أنه عبء ثقيل كما أنه شيء ملهم »

ـ « لم هو عبء ؟ »

ـ « لأنك مرغمة ليس فقط على أن تعيشى لنفسك بل أن تعيشى لصاحب القلب »

فرغت من قهوتها وظلت صامتة تراقبه . ثم إنها سألته :

ـ « مستر بيرى .. سوف أسألك سؤالًا مباشرًا : هل تريد أن تموت ؟ »

ـ « لا .. أنا فى الخامسة والثلاثين »

ـ « هل تريد أن تموت ؟ »

ـ « لا .. بل أخاف الموت »

ـ « إذن عليك أن تتخذ خطوات الحياة .. اذهب للسلطات لتحميك .. ثم قدم نفسك كضحية »

لم يستطع فهم ما كانت ترمى إليه . لكنه كان يعرف أنها زرعت حقيقة فى روحه ولسوف يفهم كل شىء بهدوء . بينما الطائرة تعبر أريزونا إلى كاليفورنيا ...

شعر بأنه غير راغب فى العودة للبيت حيث لابد أن أخت ليلى تنتظره ..

ربما هرب إلى باريس أو روما .. لربما قضى حياته فى الهرب ولن يؤذى ثروته ... برغم هذا عاد لوطنه ..

كان قد رتب ليموزين لتنقل كاتى إلى لوس أنجيليس .. دنت منه كاتى ولدهشته وضعت حقيبتها على الأرض واحتضنته . كانت لمستها تحمل أكثر من الحب .. همست فى أذنه بشىء ثم عادت للعربة ..

راح يفكر فى الهرب .. إلى سان فرانسسكو ... إلى بورتلاند .. سولت ليك .. أماريللو ..

دق جرس الهاتف .. كان هذا أباه ..

صاح الرجل :

ـ « إلى أى حد أنت غارق فى المتاعب ؟ ماذا أفعل معك ؟ »

ـ « ماذا يجرى يا أبى ؟ »

ـ « البنفسجى يحدث هنا .. هلم تعال »

للحظة تصور ريان أن أباه قال Viloence بمعنى (العنف) .. العنف يحدث هنا .. ثم أدرك أن الرجل يقصد اسم فيوليت Violet . قال الأب :

ـ « ماذا تفعل مع عاهرة مجنونة كهذه ؟.. هل جننت يا فتى ؟ أبعده من هنا حالًا »

ليلى وفيوليت .. السوسن والبنفسج ... شقيقتان للأبد .

***

ـ ٢٠ ـ

منذ تسعة أعوام ابتاع ريان بيتين لأبيه وأمه .. جانيس وجيمى .. وجعل لهما معاشًا شهريًا . لم يكن يشعر بأنه مدين لهما بشىء بسبب اللامبالاة التى رباه بها .. لامبالاة صارت أحيانًا قسوة وجنونًا . لكنه كان شهيرًا فى عالم البيزنس والإعلام يسعده أن يجعل منه خروف أضحية .. لا يجرؤ على ترك أبويه يعيشان فى فقر .

كانا مطلقين لذا اتخذ لهما بيتين متجاورين قرب الشط فى كورونا دل مار .

كانت كورونا دل مار جزءًا من شط نيوبورت ..

جعل السائق يتوقف على بعد مربع سكنى ومشى إلى البيت مترددًا . شاعرًا بأنه كان يفضل المجىء مع حرس مسلح من رجال موت . التعقل يقول له أن يتريث .. لكن الحس يأمره بالذهاب فورًا .

فتح بوابة فى سياج خشبى صغير ومشى تحت أشجار تزينت بزهر الجهنمية الذى فقد هيبته مع الشتاء . مشى عبر طريق من القرميد الأحمر ..

كانت خدمة الحدائق تعنى بالحديقة ، فلو تركوا الأمر لجيمى لصار المدخل جديرًا بفيلم رعب .

لم يدق الجرس فالباب كان مفتوحًا .. دخل على الفور ..

كل شىء فى البيت توقف عند العام ١٩٦٨ .. صور فرق الستينيات والملصقات السايكيدلية .. ملصقات الهيبيز وطبعًا الشيشة ..

كان جيمى جالسًا على أريكة بينما فيوليت .. أخت ليلى .. تقف خلفه حاملة مسدسًا بكاتم صوت ..

قال الأب عندما رأى ابنه :

ـ « اللعنة يا رجل .. تأخرت بينما نحن فى مأزق .. أنت من فعل هذا فحل المشكلة الآن لأن هذه المرأة مخبولة تمامًا »

فى سن الثالثة والستين كان الأب قد فقد كل شعر رأسه فلم يعد لديه سوى خصلة يجعل منها ذيل حصان . وله عينان قلقتان وشارب كث .. هاتان العينان القويتان لم يجرؤ ريان على النظر لهما إلا عندما تغرقان فى الخمر فيقل تأثيرهما الضار .

صاحت فيوليت :

ـ « بامبينج ! »

استدار ليرى رجلًا آسيويًا يدخل الغرفة .. كان فى حجم ريان وفى يده مسدس . أشارت الفتاة لجيمى وأمرت الرجل :

ـ « خذه لغرفة النوم وأبقه هناك »

صرخ جيمى متوسلًا :

ـ « لا أريد العودة إلى هناك »

قال ريان لأبيه :

ـ « اذهب يا أبى .. وإلا نسفت المرأة مخك .. الرجل لن يفعل شيئًا أسوأ »

نهض الأب وكان قد نحل حتى لم يعد له ردف أو بطن .. قال لجيمى :

ـ « الأسوأ أن المرأة لا تدعنى أدخن سيجارة حشيش .. قل لها أن تتركنى أفعل »

قال ريان :

ـ « أنا لا أحدد القواعد يا أبى .. هم يفعلون .. هذا ليس حلمًا بل هو الواقع »

فى النهاية سمح جيمى لبامبينج أن يقتاده لغرفة النوم ، بينما أمرت المرأة ريان أن ينزع سترته .. ووضعت السترة أمامها لتراها وتتفحصها .. أمرته كذلك أن ينزع القميص ثم يدور حول نفسه فاردًا ذراعيه كأنه طائر . ثم أمرته أن يجلس على مقعد (ليزى يوى) ... وسألته :

ـ « أين كنت ؟ »

ـ « دنفر »

ـ « ما كنت أحسبك آتيًا هنا »

قال ريان :

ـ « أنا لست وحيدًا »

قالت المرأة :

ـ « أنت جئت بليموزين .. السيارة تقف على بعد مربع سكنى وفيها السائق الآن يصغى لموسيقا سيئة ويقرأ مجلة إباحية »

برغم كل شىء كان ريان سعيدًا .. لم يكن يريد أى يوم عادى من الأيام التى مرت به فى الستة عشر شهرًا السابقة . لقد بلغ أسفل نقطة ممكنة . يجب أن يبدأ من هنا الأمل فى مستقبل أفضل أو يغادر اللعبة ..

قال لها :

ـ « لو كنت ستقتليننى فأنا أتمنى أن تمنحينى شرف معرفة السبب »

***

ـ ٢١ ـ

كانت تلبس سترة سوداء وسويتر أسود وبنطالًا أسود ، فبدت كأنها ظل يتحرك وسط الظلال . لم يكن يدل على وجودها سوى ضوء المصابيح على وجهها وكفيها . وكان الضوء ينعكس بلون ذهبى .

كان يفكر فى تحين لحظة ينقض عليها فيها وينزع المسدس ، لكنه قدر أن تشتتها مصطنع وليس حقيقيًا . لو حاول فلسوف تجد مبررًا لطلقة مباشرة ..

راحت تتأمل وعاء الماريجوانا والملصقات التى تظهر المطربين والفرق ، ثم قالت :

ـ « هل أمك مثل أبيك ؟ »

ـ « قريبة منه لكنها تختلف .. بالنسبة لها هى تحب الخمر والرجال .. أو الرجال الذين يحبون الخمر »

كانت تقف خلفه فأدار رأسه لها .. لكنها صوبت المسدس إلى أنفه وأمرته أن يبقى كما هو ولا يلتفت . ثم سألته :

ـ « هل تعرف اسم أختى ؟ »

ـ « اسمها ليلى »

ـ « كيف عرفت هذا ؟ »

ـ « عرفته ورأيت صورتها من الأسرة .. لقد تحريت عن صاحبة القلب »

ـ « كيف تعرف من الأسرة ؟.. أنا هى الأسرة »

ـ « لربما كان الوالدان مصدر الصورة »

ـ « كذاب »

وضربت جانب رأسه بمؤخرة المسدس فسال الدم من أذنه . وشعر بألم شديد يعصف برأسه .. أغمض عينيه فرأى الخياطات بين العظام فى الظلام كأنها ألسنة البرق .

هوت ضربة ثانية على رأسه فصرخ محتجًا .. هنا لحقت بها ضربة رابعة ، هى التى جعلته يغيب عن الوعى .

***

استرد وعيه على عدة مراحل .. لم يعرف أين هو ولا لمن تنتمى تلك المصابيح من حوله . فقط بدأ يعتاد ألم الضوء الحارق مع الوقت . رفع ذقنه فرأى فيوليت تجلس على الأريكة أمامه . يسمع الأشياء بصعوبة عبر الأذن اليسرى كأنها تسبح فى ماء .. دعا الله أن يكون هذا الدم حول طبلة أذنه ، وألا يكون قد أصيب بصمم .

كان رأسه يتوجع بقوة فى كل مكان .. الألم يتسرب فى شرخ من جمجمته إلى خلف محجره بالضبط .

عادت المرأة تسأله :

-« من أعطاك الصورة ؟ »

-« أعتقد أسرة ليلى .. لقد جلبها الجراح »

-« د . هوب ؟ »

-« نعم »

-« لماذا ذهبت لدنفر ؟ »

ـ « أصبت بالذعر .. أنت وجهت لى طعنة .. أنت دخلت بيتى ولعبت بالدوائر الإلكترونية كلها »

ـ « الشرائط المغناطيسية تتلف الأقفال الإلكترونية .. هل بدا لك هذا كسحر ؟ »

ثم قالت بعد قليل :

ـ « لم أحسبك ستأتى هنا .. حسبتك ستتركنى أقتل أباك .. »

لو كان المقعد قريبًا من المنضدة لمد رجليه وضرب المصباح .. كان الزيت سينفجر ليحرق كل شىء بما فيه فيوليت نفسها ..

قالت له :

ـ « أنت تعتقد أن ليلى كانت مدرسة كما قالوا لك .. كانت خياطة »

ـ « ولماذا يكذبون بصدد عملها ؟ »

لم تجب وقالت :

ـ « أنا عميلة أمن لدى الحكومة .. ليس الـ FBI ولا CIA .. لم تسمع قط عن المكتب الذى أعمل معه . حظك التعس جعلك تأخذ قلب أخت امرأة قادرة على استعادته »

ـ « لم آخذ أى شىء .. كنت فى قائمة تلقى أعضاء وكانت فى قائمة المانحين .. لو لم يكن أنا لجاء اسم شخص آخر »

ـ « كم انتظرت للحصول على قلب ؟ »

من يدرى ؟ لربما نجحت خطته واستطاع أن يقلب المنضدة عليها .. هو تصرف جدير بأفلام الأكشن السينمائى لكن قد ينجح .. أحيانًا تقلد الحياة السينما ..

ـ « أعطانى د . هوبنا عامًا أعيش فيه على الأكثر .. بحثوا عن قلب مناسب أربعة أشهر »

ـ « لم تستغرق وقتا طويلا »

ـ « لأن د . هوب جراح ذو سمعة عالمية .. ولديه القدرة على الوصول لقوائم المانحين فى العالم كله .. أصغى لى .. الأمور تحدث .. تحدث فحسب .. ليست غلطة أحد .. الحادث كذلك لم يكن غلطة أحد »

كانت تنظر له بعينين من البورسلين .. الموت فيهما . وقدر أن أى شىء يقوله قد يكون هو الشىء الخطأ ..

قالت له :

ـ « لم يكن هناك حادث يا مستر بيرى .. لم تصب أختى فى رأسها .. لا توجد قائمة تبرع .. كانت ليلى سليمة وحية ثم قتلوها فقط كى يمنحوك قلبها ! »

***

ـ ٢٢ ـ

برغم الألم هز رأسه .. هزه كى يزيل مفعول العبارة التى قالتها .

ـ « لماذا طرت إلى شنغهاى ؟ »

ـ « لأن القلب كان هناك .. وقد سافرت مع فريق د . هوب »

ـ « هل تعلم ما فالون جونج ؟ »

هز رأسه معلنًا جهله .. تتصرف كأنه يجب أن يعرف .. فقالت وهى تضغط بفوهة المسدس على رأسه من الخلف :

ـ « هذا طقس روحى يتم عبر التأمل .. تأسس عام ١٩٩٢ وحرم عام ١٩٩٩ .. من يعتنق هذا المذهب يضرب ويعذب .. كانت ليلى من الفالون جونج .. فتاة حالمة بائسة تختلف عنى فى كل شىء . كانت خياطة .. اعتقلوها منذ عامين . قضيت عامًا أحاول تحريرها .. كانت تعيش وسط أشغال شاقة .. تعذيب .. اغتصاب .. لكن ليس كل سجناء الفالون جونج يعاملون هكذا . بعضهم يتم الاعتناء بصحتهم كى يتم حصادهم »

قال ريان :

ـ « لم أسمع قط عن الفالون جونج »

ـ « هناك مستشفى فى شنغهاى مخصص للتجارب .. ثم مخصص لجراحات الزرع للأجانب الذين يدفعون الكثير من المال »

كانت تقف إلى يساره .. لقد نزعت المسدس لكنها ضغطت بقوة حتى إنه ظل يشعر بالفوهة هناك .

ـ « عرفت قبل جراحتك أن ليلى نقلت من هذا المعسكر إلى المستشفى »

وأمسكت المسدس بيدين وصوبت إلى حلقه ..

ـ « هناك رفيقان كانا بحاجة لكليتها . كبدها احتاج له شخص آخر ... ثم قرنيتاها .. أما قلبها فذهب لرجل ثرى جدًا .. من فى قائمة أشهر مئة أعزب ثرى »

ـ « لم أكن أعرف .. أقسم لك .. ما كنت لأقبل لو عرفت »

ـ « د . هوب يعرف .. لهذا هو يحصل على الأعضاء بسرعة خارقة . مات المئات وحيث دفنوا أنبتت الأرض أعواد بامبو حمراء »

خفضت المسدس ... ولم يصدر من الفوهة سوى صوت خافت مكتوم عندما ضغطت الزناد وأطلقت الرصاص على رجله اليسرى ...

لا يخفف الرعب كثيرًا من الألم . لكن الجرح الذى أصيب به ريان لم يكن مؤلمًا بشكل مفجع .. فقط جعل تفكيره الضبابى يصفو . وتقلصت أحشاؤه . لم يصرخ لأنه لم يجد هواء كافيًا فى رئته . فقط أطلق أصواتًا مختنقة راجفة .. لا يمكن أن تتجاوز جدران البيت .. اعتصر قدمه محاولًا تخفيف الألم ..

قالت المرأة :

ـ « بعد ما فقدت ليلى .. عشت كى أجدك .. احتجت لتسعة أشهر كى أفر من الصين . وقضيت فى هذا البلد شهرين أراقبك وأخطط »

كل ما استطاع قوله وهو يغالب الغثيان :

ـ « هوب لم يقل لى »

ـ « طبعًا .. لم يقل لك : دعنا نذهب للصين ونمزق فتاة رقيقة بريئة من أجلك . لكن كان عليك أن تستنتج .. رحلة مفاجئة للصين .. العثور على قلب خلال أربعة أشهر .. السحر الباهظ »

ونظرت له وصوبت المسدس ..

كان يرمق الدم الذى يسيل من ثقب حذائه .. وكان الدمع يسيل من عينيه وهو يتذكر السهولة التى ترك بها د . هوب يقود حياته كلها .

لقد شعر بعاطفة واحدة تستبد به .. عاطفة تقهر الخوف والألم : الخزى . فى هذه اللحظة فقط أدرك ريان بيرى أن شيئًا فيه قد تهدم .

قالت فيوليت :

ـ « تسع طلقات .. ثمان تجرحك والتاسعة تنهى عذابك »

أطلقت طلقة على اليسار استقرت تحت لوح الكتف .

لقد بدأ يغادر الحجرة بفعل الألم .. جسده واهن لدرجة أنه غير قادر على أن يظهر علامات المعاناة . إزماى .. إزماى ..

رفع عينيه نحو فيوليت .. كان يشعر بأن من حقها أن ترى الحياة تخبو من عينيه .. همس :

ـ « إزماى »

ـ « من هى إزماى ؟ »

لم يجد القدرة على الشرح أو صفاء الذهن ، فقال لها :

ـ « هى حارستى »

ـ « يوم ماتت ليلى أرسلت لها رسالة .. قلت إن روحى ستكون معها ولسوف أقرع الأجراس لأشهد .. لأعدها بالعدل .. لتعيش للأبد فى قلبى »

كان ريان يخاف الموت لكنه قدر أن الحياة لن تمنحه الكثير . قال لها :

ـ « ليكن .. هذا هو العدل .. حققى وعدك للأجراس »

أطلقت رصاصة أخرى على اليمين .. تحت لوح الكتف ..

شم رائحة الدم كأنها عبير التضحية .. رأى الظلال فى الغرفة تتحرك نحوه .

منذ ساعة فى المطار احتضنته كاتى سيينا وهمست فى أذنه بكلمات لم يقلها له أحد قط .. قالت له : سأصلى من أجلك . وقد وجد نفسه يكرر نفس الكلمات لفيوليت . أطلقت طلقة على أحد الملصقات . قال لنفسه إن لديها ست طلقات .. أطلقتها كلها على صور المشاهير المعلقة .. ماوتسى تونج .. مطربى الروك ..

ثم من دون كلمة أخرى ومن دون أن تنظر له غادرت الغرفة وتركته كى يموت ..

***

ـ ٢٣ ـ

لم يحاول الهرب .. لعله كان واهنًا بسبب فقد الدم أو فقدان الاهتمام . ظل راقدًا متكورًا ككلب يريد النوم .

وكانت المصابيح قد تهشمت فبدت الغرفة كأنها خراب مهجور . لا يدرى متى دخل شىء أحدب الغرفة وهو يسب بغضب ويغمغم . مر به ورائحة أنفاسه تعبق بالخمر .. حاول ريان أن يركز عينيه الخابيتين على هذا الشكل ، وفى النهاية أدرك أن هذا أبوه .

اتجه الأب نحو أدراج فراح يفرغها ويسكب ما فيها على الأرض .. هتف ريان :

ـ « بابا .. اطلب ٩١١ »

حمل الأب الدرج وهرع نحو ريان وصاح :

ـ « لن أترك رجال الشرطة أولاد الـ (...) يجدون ما أخبئه .. دقيقة .. دقيقة »

وراح يخفى ماله وحاجياته فى فتحة سحرية بالدرج . ثم تناول أكياس الحشيش وقال :

ـ « سوف أتخلص منها فى المرحاض »

ـ « اطلبهم ثم تخلص منها ! »

ثم فقد الوعى بينما تعالى صوت صفارات الشرطة .. وأفاق ليجد أن أباه يضغط على رأسه بخرقة مبتلة كريهة الرائحة . قال مجاهدًا ليجد أنفاسًا :

ـ « هما اثنان يلبسان أقنعة . لم نر وجهيهما .. »

ـ « عم تتحدث ؟ »

- « جاء يبحثان عن شخص خطأ اسمه كيرتيس وأطلقا الرصاص على بطريق الخطأ .. هذه هى القصة التى سنحكيها »

وتعالى صوت السرينة . فعاد يكرر قصته على أبيه . قال الأب :

- « تريد أن نخدع الشرطة ؟ ليكن .. ظللت أفعل هذا طيلة حياتى »

اقتحم المسعفون الغرفة .. وهنا لدهشة ريان أدرك أنه ما زال راغبًا فى الحياة بشدة ..

***

بعد ثلاثة أعوام وخمسة أشهر من نشر كتابها الأول نشرت سامانتا روايتها الثالثة . كانت جولتها لترويج كتابها الأخير تمر بكنتاكى ، وقد خطر لها أن هذه فرصة ممتازة للاتصال به .

توقفت أمام المزرعة .. واجتازت ممرًا بين الأشجار نحو البناية الخشبية . كان الأب تيموثى فى مكتبه . لو لم يلبس ثياب الرهبان لبدا كأنه مزارع عادى أو راعى بقر . قال لها :

- « هذا يوم حمام الكلاب .. بينى لديه عمل كثير وقد طلب منى أن آخذ له »

- « بينى ؟ »

- « نعم .. نناديه هكذا هنا .. اسمه الحقيقى معروف وهو لا يريد أن يعرفه أحد »

اقتادها الأب عبر مكان يطلق عليه الحديقة .. منطقة مرصوفة تحيط بها ثلاثة مبان .. وهناك الكثير من أشجار البلوط .. الأطفال على مقاعد متحركة

يصطفون هناك .. يمارسون أعمالًا يدوية .. هناك أطفال يجلسون على وسائد حول راهبة تحكى لهم قصة أطفال .. وفى كل مكان كلاب نظيفة من الرترايفار أو اللبرادور .. قال لها الأب :

ـ « نحن لا نعزل الأطفال حسب عاهاتهم .. نضع مرضى الشلل مع مرضى داون (البله المغولى) .. هذا يعلم كل فريق أن يحترم إعاقة الآخر »

كان دير سان كريستوفر يستضيف الأطفال المعاقين من كل مكان .. وكان صغار السن يسمح بتبنيهم ، أما الأكبر سنًا فيعيشون هنا حتى يبلغوا ..

من ضمن النشاطات هنا تربية الكلاب وبيعها . والكلاب التى لا تباع كانت تعطى صفات اجتماعية حقيقية للأطفال .

اقتادها الأب تيم لموضع غسل الكلاب . فتح الباب وقال :

ـ « لن أزعجكما .. »

كانت الغرفة مليئة بأحواض ومجففات ..وكان هناك كلب رتريفار جالسًا تحت المجفف وهو ينتحب . وكان ريان مع صبى مصاب بمرض داون فى الخامسة عشرة يدهن كلبًا أسود بالجيل .

ـ « ابحث عن الطوق يا رود ثم أعده للأخت جوزفين »

فجأة التفت للخلف ورأى سامانتا .. أشرق وجهه بسرور لا شك فيه .. وكانت هى خائفة من رد فعله .

ـ « رباه !.. هأنتذى ! »

تدافع الدمع إلى عينيها .

قال لها ريان :

ـ « سنتناول الغداء معًا .. أنا أعددته .. »

وحرر الكلب الذى يريد التحرر من المجفف .. ثم داعب أذنه وربت على ذقنه . بينما ريان ينزع الحذاء طويل العنق والأوبرون ثم غسل يديه .. واصطحبها لشقته ..

كانت شقته صغيرة جدًا .. وغرفة النوم صغيرة جدًا .

أما الغداء فكان دجاجًا باردًا وجبنًا وسلاطة ، وسألها :

ـ « كيف حال الكتاب ؟ »

ـ « يباع بسرعة مذهلة .. »

ـ « قلتها لك .. لم يكن كتابك الأول هو الوحيد »

راحا يتكلمان عن الكتب ثم عن سان كريستوف . كانت لديه قصص لا تنتهى عن ذلك المكان .

جاءت لتتأكد من أنه سليم وسعيد .. لقد تخلى عن ثروته كلها وهذا شىء مقلق .. لربما حسب أن متاعبه ستزول مع ثقل الثروة . لكنه سيكتشف أن الحياة مكان شاق لا يمكن مواجهته من دون حساب مصرفى . لكنه بدا لها سعيدًا ولم يكن يتصنع . كان سهل القراءة بالنسبة لها كأنه من كتب د. (سويس) ..

قال لها :

ـ « أنا سعيد هنا يا سامانتا .. أعنى بالأطفال والكلاب وأدهن الإسطبل .. »

كانت له أذن ممزقة ، وكان يملك المال كى يصلحها بجراحة تجميل .. لكنه قرر تركها كما هى .. أضف لهذا ضعف التوصيل العصبى فى رجله اليسرى مما جعله يعرج نوعًا .

ظل أوسم رجل رأته فى حياتها .. وقد اكتسى نوعًا خاصًا من السحر اليوم .

تكلما طيلة العصر وحكى لها كل شىء ... حكى لها عن إزماى كليم وأحلامه والبحث عن مؤامرة .. بل إنه شك فيها فى وقت ما .

تحدث فى حزن وسخرية عن أخطائه ..

لم تكن قصته تخلو من أمور خوارقية بالنسبة لها . لم تؤمن بوجود أرواح لكن العالم بالنسبة لها كان مكانًا ذا طبقات لا نهائية كانت قد أحبت ريان سابقًا وما زالت تحبه لكنه حب مختلف اليوم .. عاطفى عقلانى روحى لكنه ليس شهوانيًا .. معاناته جعلته يعشق الحقيقة .. واليوم تدرك أن عشقه للحقيقة جعله يفهمها كما لم يفهمها من قبل . لقد ازداد حبها عمقًا .. . وتساءلت هل سوف تعرف شيئًا كهذا فى حياتها ؟

قرب المغرب عندما تهيأت للرحيل نهضا معًا .. اصطحبها والغلام عبر المزرعة . عبروا الإسطبلات إلى سيارتها الواقفة أمام كومة القمامة . أثناء المشى قال لها :

ـ « شىء واحد أريد قوله لك .. أعرف أنك تحبين الجدل . لا جدل .. لا تعليق . أنا أعشق كتبك لذا أنت مدينة لى بمجاملة .. على الكاتبة أن تحافظ على سعادة القراء »

أدركت من كلامه أنه بصدد شىء أكثر أهمية من أى شىء قالاه اليوم .. وبدا أنها موافقة ..

التقط يدها وقال :

ـ « عندما أنظر لهذا كله .. لا أفهم أهميتى للكون بحيث يرسل لى الله امرأة مثل إزماى كليم وكل العلامات التى أنقذتنى من أن أكون مجرد شخص

يحمل قلب فتاة ميتة . لماذا منحت كل هذه الفرص ..؟ ثم خطر لى أننى منحت هذه الفرص من أجلك أنت »

ـ « ريان »

ـ « وعدت ألا تعلقى .. أنت شخص رائع .. وما تفعلين بحياتك مهم جدًا .. يجب أن تكونى سعيدة وتوضحى الطريق لأناس آخرين . تزوجى .. انجبى .. ستكونين أمًا رائعة .. لقد مررت فى حياتك دون أن أترك ندبة ، ولم أفض على كينونتك .. لا تعليق »

وصلا لسيارتها لم تدر كيف ستقود لكنها كانت تعرف ما يريده منها .. وجدت فى نفسها الشجاعة كى تصغى له ولا تعلق . فقط قبلته على خده ..

قادت سيارتها وهى تنظر فى المرآة فرأته يقف هنالك يراقب رحيلها .

عبر الطريق وجدت مكانًا يسمح بالتوقف فأوقفت سيارتها .

كان هناك مرج بلا سور بين أشجار البلوط . تسلقت المرج وجلست وقد أسندت ظهرها لأكبر الأشجار بعيدًا عن المرور .

بكت لفترة طويلة ليس عليه وليس على نفسها ، بل على ما كان بوسع العالم أن يصيره لكنه لم يفعل .

كانت تفكر فى الطيور وغنائها .. صوت النسيم عبر غصون البلوط .. أشعة الشمس تتسرب عبر الأغصان ..

عادت لسيارتها .. أرادت أن تعود لبيتها فلديها كتاب جديد تكتبه .. لديها حياة تعيشها

دين كونتز

٢٠٠٨

روايات عالمية 83

مكتبة متكاملة لأشهر الروايات العالمية

قلبك ملك لى

رايان بيرى مهندس كمبيوتر شاب فى ذروة النجاح والثراء وينعم بالحب . فجأة يكتشف أن قلبه تالف وأن هذه هى أيامه الأخيرة ما لم يظفر بقلب آخر . ينجح بصعوبة فى الحصول على قلب ، وتتم عمليـة الزرع بنجاح ، لكنه يكتشف لشدة الهول أن هذه ليست نهاية متاعبه بل بدايتها .

العدد القادم

المانح









